بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

صورة الشيطان في القرآن الكريم

" دراسة أدبية "

رسالة ماجستير

إعداد:

عايد سلامة عايد الشراري

إشراف

الأستاذ الدكتور:مخيمر صالح يحيى

١٤٣١هـ-٢٠١٠م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

صورة الشيطان في القرآن الكريم

دراسة أدبية

The Image of the Satan in the Holy Quran
LITERARY STUDY

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية

تخصص أدب ونقد

لجنة المناقشة

١. الأستاذ الدكتور: مخيمر صالح موسى يحيى مشرفاً ورئيساً.....

٢. الدكتور: سالم مرعي الهدروسي عضواً.....

٣. الدكتور: محمد أحمد الجمل عضواً.....

٤. الدكتور: مصطفى طاهر الحيادرة عضواً.....

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الإهداء

إلى جدتي الحنونة

إلى والدي ووالدتي العطوفين

إلى زوجتي الغالية وابنتي

إلى كل من مدَّ يد العون لي في حياتي

العلمية

وإلى كل من أحب لغة القرآن وسعى في خدمتها

أهدي هذا الجهد المتواضع

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

شكراً وتقديراً

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين، والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً ، والصلاة والسلام على نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ،

يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور **مخيمر صالح يحيى** الذي أشرف على هذه الرسالة وفتح لي قلبه الواسع منذ اللحظة الأولى لتسجيلي هذا البحث ، فوجدت منه كل تشجيع ورعاية ومتابعة مستمرة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من :

الدكتور: **محمد الجمل** والدكتور مصطفى **الحيادرة** والدكتور **سالم الهدروسي**

لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة ،فلهم مني كل تحية عطرة وتقدير واحترام .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما وأشكر كل من قدم لي يد العون والمساعدة والتشجيع في إكمال دراستي العليا

وأخص بذلك أخي أبا عبد الرحمن نواف بن رحيل الشراري الذي كان دائم النصح لي

والتوجيه .

وليُعْلم أن هذا العمل عمل بشري يتخلله النقص والخطأ فما كان من صواب فمن توفيق الله

وحده ، ثم فضل استاذي، فما كان من خطأ ونقص فمن نفسي المقصرة والشيطان .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	أ
الإهداء	ب
الشكر	ت – ث
فهرس المحتويات	ج ح خ د
الملخص باللغة العربية	ذ – ر
المقدمة	زس ش ص
التمهيد	١
الفصل الأول: أنواع الصورة الفنية للشيطان	١٥
المبحث الأول: الصورة في القرآن الكريم	١٦
المبحث الثاني: أنواع الصورة الفنية للشيطان في القرآن الكريم.....	٢٥
الصورة الحركية	٢٥
الصورة النفسية	٣٨
الفصل الثاني : المبحث الأول : وسائل تصويرالشيطان في القرآن الكريم	٥١
أساليب بناء الصورة	٥٢
أسلوب السرد	٥٣
أسلوب الحوار	٥٩
المبحث الثاني : الأساليب البلاغية في تصوير الشيطان في القرآن الكريم	٨٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التشبيه	٨٠
الاستعارة	٨٨
الكناية	٩٥
الفصل الثالث: صورة الشيطان دراسة في الإعجاز القرآني اللغوي	١٠٠
المبحث الأول : الألفاظ والمعاني	١٠١
التعريف والإفراد في صورة الشيطان	١٠٤
التعريف والجمع في صورة الشيطان	١١٨
التنكير والإفراد في صورة الشيطان	١٢٢
المبحث الثاني: الترادف في مفردات الشيطان	١٢٥
قضية الترادف بين الإثبات والنفي.....	١٢٥
رأيي في الترادف	١٣٢
ما يتوهم ترادفه في ألفاظ الشيطان.....	١٣٥
المبحث الثالث: الشيطان وذريته: صفاتهم وأفعالهم	١٣٩
أولا : صفات الشيطان.....	١٣٩
ثانيا : أفعال الشيطان	١٤٤
أفعال الشيطان التي لم ترد إلا مرة واحدة في القرآن الكريم.....	١٥٩
الأفعال التي صدرت من ذرية الشيطان وأتباعه	١٦٧
الخاتمة	١٧٠
قائمة المصادر والمراجع	١٧٢
الملخص باللغة الإنجليزية	١٨٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ملخص الرسالة

صورة الشيطان في القرآن الكريم

إعداد:

عايد سلامة عايد الشراري

إشراف الأستاذ الدكتور:

مخيمر صالح يحيى

تعالج هذه الرسالة موضوع صورة الشيطان في القرآن الكريم ، وهذا الموضوع يشكل مجالا رحبا للبحث والدراسة. لذا، حاول الباحث جاهدا أن يتناول هذا الموضوع: دراسة وتحليلا وتأصيلا بشكل مفصل.

وقد جاءت في تمهيد وثلاثة فصول على النحو التالي:

١) **التمهيد:** خلص إلى التعريف اللغوي والاصطلاحي لـ: إبليس والشيطان، والفرق بينهما. وهل إبليس من الملائكة أم من الجن؟.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢) **الفصل الأول:** وتمت فيه دراسة أنواع الصور الفنية للشيطان، في ثلاثة محاور: محور الصورة الحركية، ومحور الصورة الساكنة، ومحور الصورة النفسية. مدعمة بنماذج تطبيقية على كل منها من النص القرآني.

٣) **الفصل الثاني:** وتمت فيه دراسة أساليب تعبير تصوير الشيطان في القرآن الكريم. وكان في محورين: محور أسلوب السرد وأسلوب الحوار في صورة الشيطان. ومحور الأساليب البلاغية في صورة الشيطان: التشبيه، الاستعارة، والكناية.

٤) **الفصل الثالث:** وتمت فيه دراسة الإعجاز القرآني اللغوي في صورة الشيطان. وقد كان في ثلاثة مباحث: المبحث الأول الألفاظ والمعاني، والمبحث الثاني الترادف في مفردات "الشيطان"، والمبحث الثالث إبليس وذريته صفاتهم وأفعالهم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – عبده ورسوله أرسله بكتابه المبين ، الفارق بين الشك واليقين ، الذي أعجزت الفصحاءَ معارضته ، وأعيت الألباءَ مناقضته ، وأخرست البلغاءَ مشاكلته ؛ فلا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم ، كتاب الله الخالد ، ومعجزة نبيه – صلى الله عليه وسلم – الكبرى دستور المسلمين ؛ الذي فيه كل ما تحتاجه وتبتغيه البشرية من توجيه وإرشاد ، وتشريع وهداية ؛ حتى تتأصل عراها ، وتقوى شوكتها ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وقد أمرنا أن نتدبر آياته ومعانيه ، ونكتشف مكنوناته وأسراره ،وينجلى إعجازه في كل مجالاته . وقد احتوى كتاب الله العزيز على عظاتٍ وعِبَر وحِكَم وأحكام ، ينهلُ منها المسلم ؛ حتى تتجذر عقيدة الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – في قلبه ، ويستيقنها عقله ؛ فيمضي بها في حياته ، حتى تنفعه بعد الممات . وقد اكتنز القرآن الكريم بالرسائل الواضحة والإشارات المشرقة لكل من قرأ فتأمل فتدبر ، وكانت هذه الرسائل والإشارات منثورةً دررا في بحر الآيات ؛ بأساليب وتصاريف أعجزت أهل الكلم ، وأدهشت جهابذة الفصاحة والبيان ، فوقفوا

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أمامها عاجزين معترفين بما في كتاب الله العظيم من حسن في الأداء ، ودقة في التعبير ، وإعجاز في البيان .

أما صورة الشيطان في القرآن الكريم ، فلم أعرف – بحدود اطلاعي ومعرفتي– من جعل لها موضوعا منفردا ، سوى في متفرقات في الكتب الدينية ، التي لم تتجاوز الجانب الديني البحت ، في دراستها لذكر الشيطان في القرآن الكريم ، فلم تتطرق للجوانب البلاغية والأدبية ، بشكل مفصل موضح كما في هذا البحث ، وقد كان هذا من أصعب ما واجهني ، رغم أني قد أفدت مما ذُكرَ في تلك المصادر والمراجع في بحثي ؛ إفادة متناثرة في ثنايا الرسالة يلحظها القارئ.

ومن هذا المنطلق ، جاءت دراسة الباحث لموضوع ذي أهمية عظمى من مواضيع القرآن الكريم ، ألا وهو " صورة الشيطان في القرآن الكريم دراسة نقدية ".

ويرجع سبب اختيار هذا الموضوع ، من مواضيع القرآن الكريم المتعددة والمتنوعة ، إلى ما يمتاز به من وفرة في العناصر الأدبية والبلاغية و الإعجازية ، بكل ما يتعلق بصورة الشيطان في القرآن الكريم

وكان منهجي في الدراسة تحليل الآيات المتعلقة بموضوع البحث ، واكتشاف مكنوناتها وأسرارها ولطائفها ؛وإظهار العلاقات القائمة في التعبير، وتناولها من خلال الأدب ،والبلاغة ،واللغة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن أجل تسهيل الدراسة ، جعلت في ثلاثة فصول يتصدرها تمهيد ، كان هدفه الكشفَ عن المعنى الاصطلاحي واللغوي لمصطلح " إبليس ، والشيطان " في القرآن الكريم ، والفرق بينهما ، مستعينا ، لأجل ذلك ، ببعض أشهر آراء المفسرين ، قدماء ومحدثين.

فأما الفصل الأول : فتحدث عن مفهوم الصورة في القرآن الكريم ، مستفتحا ذلك بتعريفها بين اللغة والاصطلاح ، عند القدماء والمحدثين . ثم تطرق إلى صورة الشيطان وأنواعها في كتاب الله العزيز ؛ مقسمة إلى : الصورة الحركية ، والصورة الساكنة ، والصورة النفسية . محاولا أن يظهر ذلك كله بطرق التحليل التفسيرية والأدبية ؛ لاستخراج بعض الكنوز الفنية والأدبية من هذه الصور .

وأما الفصل الثاني : فكان في عنوانين: الأول : وسائل تصويرة الشيطان في القرآن الكريم . وقد تفرع منه: أسلوب السرد ، ثم أسلوب الحوار في صورة الشيطان ، وما يتمتع به هذان الأسلوبان من اكتنازهما بالأساليب الأدبية والبلاغية والإعجازية العميقة. الثاني : الأساليب البلاغية في صورة الشيطان . وقد تفرع منه: التشبيه ، الاستعارة ، والكناية . مبينا ما تحدثه هذه الأساليب من جماليات في صورة الشيطان ، ومدى التأثير الذي تتركه في نفس القارئ المتأمل لها .

أما الفصل الثالث : فقد تكون من عنوان رئيس وهو : صورة الشيطان دراسة في الإعجاز القرآني اللغوي . وقد تفرع منه ثلاثة مباحث ؛ المبحث **الأول** : الألفاظ والمعاني ، وكان منه: التعريف والإفراد في لفظة الشيطان ، والتعريف والجمع في لفظة الشيطان، والتنكير والإفراد في لفظة الشيطان ،والمبحث **الثاني** : الترادف في مفردات "الشيطان" ،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وانبثق منه : قضية الترادف بين التأييد والمعارضة ، رأي في الترادف ، وما يتوهم ترادفه في ألفاظ الشيطان **والمبحث الثالث** :إبليس وذريته صفاتهم وأفعالهم.

ثم أنهيت البحث بخاتمة ، أوضحت فيها أهم النتائج التي توصل البحث إليها . وقد سردت في نهاية البحث أهم المصادر والمراجع التي أفدت منها ، والتي يسرت لي السبيل – بعد الله – ، وكانت من أهم العوامل التي ساعدت في إخراج هذا البحث .

وما دراستنا هذه – علمَ الله – إلا لبنة متواضعة نلتمس فيها شرف الانتماء للدراسات القرآنية.

والله أرجو أن يجعل قلمي وقلبي وفكري ووجداني وحياتي كلها خاشعة لهذا المصحف الشريف ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التمهيد

عند دراسة " صورة الشيطان في القرآن الكريم " يحسن أن نتطرق للخلاف الذي وقع في حقيقة إبليس ، هل إبليس هو الشيطان ؟ وهل هو من الملائكة أم من الجن ؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة، لا بد أن نتعرف على الاصطلاح اللغوي لكلمة الشيطان ، وذلك بالرجوع إلى الكتب والمعاجم المختصة بذلك ، فقد أجمع علماء التفسير أن علوم العربية هي أحد أهم مصادر تفسير آيات القرآن الكريم ؛ لفهم بيانها ومعانيها.

جاء في معنى الشيطان:

" شَطَنَ : بَعُدَ ، وأشطَنه : أبعَدَه . وفي الحديث : (كل هوى شاطنٌ في النار)[1] . الشاطن : البعيد عن الحق . وشطنت الدار تشطنت شطونا : بعدت . ونية شطون:بعيدة . والشطين : البعيد . والشطن : مصدر شطنه شطناً : خالفه عن وجهه والدواب . والشيطان : على وزن فَيعال من شطن ، إذا بَعُد . وتشَيْطَنَ الرَّجل : إذا صار كالشيطان وفعل فعلَه . وقيل الشيطان على وزن فعلان ، من شاط يشيط ، إذا هلك واحترق . وقوله تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصافات-٦٥] أي كأنه رؤوس الحيات . فإن بعضَ العرب تسمي الحياتِ شيطاناً . وقد تُسمى الحيةُ الدقيقة الخفيفة شيطاناً وجِنّا ، على وجه التشبيه . وجاء في الحديث:(إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم)[2]. وإذا جعلت النون زائدة كان الفعل

---

(1) **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، أبو السعادات ، المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص ٤٧٥

(2) **صحيح البخاري** ، البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل ، تحقيق : محمد نزار تميم و هيثم نزار تميم ، دار ابن الأرقم ، بيروت – لبنان ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، كتاب الاعتكاف ، باب : هل يدرأ المعتكف عن نفسه ، ص٤٢٣ ، رقم الحديث ٢٠٣٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من شاط يشيط إذا هلك ، أو من استشاط غضباً إذا احتد في غضبه والتهب؛جاء في الحديث (الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب)[1]* ." [2]

و " في الشيطان قولان : أحدُهما أنه من (شَطَنَ) إذا بَعُد عن الحق ، أو عن رحمة الله ، فتكون النون أصلية ، ووزنه فيعال . وكلّ عاتٍ متمرد من الجن و الإنس والدواب فهو (شَيْطَانٌ) . ووصف أعرابي فرسَه فقال : كأنه (شَيْطَانٌ) في (أَشْطَانٍ) . والقول الثاني : أن الياء أصلية ، والنون زائدة ، عكس الأول وهو من (شَاطَ) (يَشِيطُ) إذا بطل أو احترق فوزنه فَعْلانٌ " [3].

و " الشَّاطِنُ : البَعيد من الحقّ . وقال محمد بن إسحق : إنَّما سُمِّي شَيْطاناً لأنَّه شَطَن عن أَمْرِ ربِّه . والشَّطُون : البعيد النَّازح . ومنه قيل : نَوىً شَطُون وبئرٌ شَطُون . ومن ذلك سُمِّي شيطاناً " [4] . " والشَّيْطَانُ : فَيْعال من شطن أي : بَعُد . ويُقال: شَيْطَنَ الرَّجلُ وتَشَيْطَنَ إذا صار كالشَّيْطان وفَعَلَ فِعْلَه قال رؤبة:

وفي أخاديد السِّياط المُشَّنِ ***** شافٍ لبَغْيِ الكَلِبِ المُشَيْطِنِ* " [5]

([1]) صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل ، تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم ،دار ابن الأرقم، بيروت – لبنان ١٤١٦هـ ١٩٩٥م ،كتاب الاعتكاف ،باب :هل يدرأ المعتكف عن نفسه ،ص٤٢٣، رقم الحديث٢٠٣٩.

*في هذا الحديث تحذير من سفر الإنسان لوحده، لما في ذلك من الوحشة والمحظورات التي يتعرض لها المسافر .

([2]) لسان العرب ، ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، دار صادر ، بيروت، د.ت ، ج١٣، ص٢٣٧،مادة (شطن).

([3]) المصباح المنير ، الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي المقري ، مكتبة لبنان ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٧ ، ج١، ص٣١٣.

([4]) غريب الحديث ، الدينوري، أبو محمد بن مسلم بن قتيبة ، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج٣ ، ص ٧٥٩

*لم أجد البيت المذكور في متن البحث في ديوان رؤبة العجاج ،وقد عدت إلى الديوان فوجدته على النحو الآتي :

أخذك بالميسور و العشوّزن *** بالشطن الأعلى فإن لم تشطن

مجموعة أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة العجاج وعلى أبيات مفردة منسوبة إليه ، اعتنى بتصحيحه وترتيبه :وليم بن الورد البروسي ،منشورات دار الآفاق ،بيروت ،ط١٩٨٠،٢م، ص١٦٥

([5]) معجم العين ، الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، تحقيق : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال ، ١٩٩٩م ، ج٦، ص٢٣٧ ، مادة (شطن).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

" والشياطين جمع شيطان " جمع تكسير " . وحقيقة الشيطان أنه : نوع من المخلوقات المجردة ؛ طبيعتها الحرارة النارية ، وهم من جنس الجن . قال تعالى في إبليس : ﴿ كان من الجن ﴾(الكهف ٥٠) . وقد اشتهر ذكره في كلام الأنبياء والحكماء . ويطلق الشيطان على المفسد ، ومثير الشر ؛ تقول العرب فلان من الشياطين ، ومن شياطين العرب ؛ وذلك استعارة . وكذلك أطلق هنا على قادة المنافقين في النفاق ؛ قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام-١١٢] (١).

" واسم الشيطان ، بالألف واللام ، هو أشهر هذه الأسماء ؛ لأنه ورد في كتب الديانات الثلاث ، ودخل في تعبيرات اللغات الأوربية المتداولة باللفظ المنقول عن اللغات السامية ، فيتحدث الغربيون اليوم عن الفكرة الشيطانية ، أو عن العمل الشيطاني . ويُفهَم من عباراتهم أن معنى الصفة الشيطانية عندهم مرادف للصفة الجهنمية التي تنطوي على الخبث والبراعة في الشر،وحب الأذى، والتمتع بالإيذاء ؛ كأنه متنفس لطبيعة صاحبها ، يفرج عنه ويسره أن يلمح آثاره ، وهو مستتر وراءه . والرأي الغالب أن كلمة " الشيطان " هذه عبرية بمعنى الضد أو العدو ، ومن أسباب الظن باستعاراتها من اللغة العبرية أنها لغة اليهود ، وأن ديانة موسى – عليه السلام – سابقة للمسيحية والإسلام ، ولكنه ظن يصدق في حالة واحدة : وهي أن يكون اليهود أُصَلاء في الكلام عن الشيطان ، لم يسبقهم أحد من المشارقة إليه ، إلا أنها حالة لم تثبت وقد يكون الثابت خلافها ونقيضها ، فإن اليهود قد وصفوا الشيطان بعد هجرتهم إلى بابل ، وليست طريق بابل مؤصدة دون الأمم السامية غير

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد ، دار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤ ، ج١، ص١٧٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

اليهود . والأرجح عندنا أن الكلمة أصيلة في اللغة العربية قديمة فيها ، لا يبعد أن تكون أقدم من نظائرها في اللغة البابلية ؛ لأن اللغة العربية قد اشتملت على كل جذر يتفرع منه لفظ الشيطان . على أي احتمال وكل تقدير ففيها مادة " شط " و " شوط " و " شطن " في هذه المواد معاني البعد والضلال واللهب والاحتراق ، وهي تستوعب أصول المعاني التي تفهم من كلمة الشيطان جميعها . وقد كان العرب يسمون الثعبان الكبير بالشيطان ، ويقال في بعض التفسيرات إن هذا هو المقصود من قوله تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصافات-٦٥] "[1].

المعنى الاصطلاحي للشيطان:

هو ذلك المخلوق الذي خلقه الله من نار ثم أمره بالسجود لآدم فعصى الله ، فوصفه الله بالشيطان ،لأنه بعد عن الحق ، فصار كل من يتبع إبليس يوصف بهذا الوصف.

(١) إبليس ، العقاد ، عباس محمود ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، ص٣٨-٣٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

-المعنى اللغوي لكلمة إبليس:

بَ ، لَ ، سَ (أبلس) من رحمة الله أي يئس ، ومنه سمي (إبليس) ... و الإبلاس أيضا الانكسار والحزن ؛ يقال : (أبلس) فلان إذا سكت غماً "[1] . و " البلسُ : محركة من لا خير عنده أو عنده إبلاس وشرّ " .[2]

وسمي إبليس بهذا الاسم ؛ لأنه آيس من رحمة الله كما قال الطبري في تفسيره: " وإبليس إفعيل من الإبلاس وهو الإياس من الخير والندم والحزن كما حدثنا به أبو كريب قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال : حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال : إبليس أبلسه الله من الخير كله وجعله شيطانا رجيما عقوبة لمعصيته "[3].

وجاء في معنى إبليس:

" إبليس : اسم أعجميّ منع الصرف للعجمة والعلمية ، قال الزجاج : ووزنه فعليل ، وأبعد أبو عبيدة وغيره في زعمه أنه مشتق من الإبلاس ، وهو الإبعاد من الخير ، ووزنه ، على هذا ، فعيل ؛ لأنه قد تقرر ، في علم التصريف ، أن الاشتقاق العربي لا يدخل في الأسماء الأعجمية ، واعتذر من قال بالاشتقاق فيه عن منع الصرف بأنه لا نظير له في الأسماء ، وردّ بإغريض ، وإزميل ، وإخريط ، وإجفيل ، وإعليط ، وإصليت ، وإحليل ، وإكليل ، وإحريض . وقد قيل : شبه بالأسماء الأعجمية ، فامتنع الصرف للعلمية ، وشبه العجمة . وشبه العجمة هو أنه وإن كان مشتقاً من الإبلاس ، فإنه لم يسم به أحد من العرب ، فصار خاصاً بمن أطلقه الله عليه ، فكأنه دليل في لسانهم ، وهو علم مرتجل . وقد

---

(1) مختار الصحاح ، الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، ج١ ،ص٢٦، مادة (ب ل س).
(2) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد يعقوب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، د.ت، ص ٦٨٧ .
(3) جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري ، محمد بن جرير ، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ج١ ، ص ٢٦١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

روي اشتقاقه من الإبلاس عن ابن عباس والسدي "[1]. يقول الدكتور عودة أبوعودة في التعريف بإبليس :"كلمة إبليس علم على واحد هو من الملائكة وظيفة ، ومن الجن نسباً وأصلاً، عصى ربه عز وجل ، فطرده الله من رحمته، وأخرجه من جنته، وأسكنه هذه الأرض التي سكنها الإنسان أيضا ، فصار كل منهما عدوا للآخر، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها "[2]

ولفظة إبليس فيما سبق لها عدة معان تدل على الشر واليأس من رحمة الله ، وتكونُ رمزاً للمعصية الأولى عندما عصى أمر الله بالسجود لآدم ، كما أنه رمزٌ للشر في كل الأديان وكل الشعوب.

هل إبليس هو الشيطان؟

إبليس هو أبو الشياطين ، وهو المحرك لهم لفتنة الناس وإغوائهم ، وقد ذكره الله تعالى في قصة امتناعه من السجود لآدم ؛ وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ [الكهف٥٠] .

وقد أطلق عليه القرآن وصف الشيطان في مواضع كثيرة ؛ منها قوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الاعراف٢٠] . وقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف٢٧] .

---

[1] تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي،محمد بن يوسف ' تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي معوض ، وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ،٢٠٠٧م، ج١، ص ٣٠١.

[2] التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم،أبو عودة ،عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن،الزرقاء،ط١ ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م -ص٤٧١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فالشيطانِ في هذه الآيات يراد به إبليس ؛ لأن القرآن يتحدث عن قصة إغوائه لآدم وحواء عليهما السلام .

ونخلص مما سبق إلى أن هناك فرقًا بين إبليس والشيطان ، فإبليس هو ذلك المخلوق الذي خلقه الله من نار ،وامتنع عن السجود لآدم ،وهو الذي وسوس لآدم وحواء في الأكل من الشجرة ،فإبليس أبو الشياطين ، وزعيمهم ، ورأسهم في المعصية . ويرمز للشر والعصيان . أما "الشيطان" فهي صفة لإبليس وتكون خاصة به إذا وردت في القرآن الكريم بصيغة المفرد المعرفة ، وما ورد غير ذلك من تصريفات فهو يشمل إبليس وأتباعه من الجن والإنس.فأصبح الشيطان وصفاً لكل مخلوق فاسق متمرد يفعل الشر.

- **خلاف العلماء في إبليس هل هو من الملائكة أم من الجن ؟**

وردت قصة إبليس في القرآن الكريم غير مرة ، في كثير من سور القرآن الكريم ، وقد جاءت في كل مرة بفائدة جديدة ، وهذا حال كثير من الآيات التي تتكرر في القرآن ؛ يجد فيها المتأمل كثيراً من الحكم والفوائد؛ علمنا منها ما علمنا ، وجهلنا ما جهلنا ، فمن المعلوم أن الملائكة خلقوا من نور ، مفطورون على طاعة الله ، وأن إبليس مخلوق من نار . وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة ، فقد تكررت قصة إبليس عندما أمر بالسجود لآدم- عليه السلام- ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿ ٣٠ ﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿ ٣١ ﴾ [الحجر٣٢] ؛ فهذا الاستثناء يشعر بأن إبليس واحد من الملائكة؛ ولكن في سورة الكهف قال تعالى: ﴿ إلا إبليس كان من الجن ﴾ ، فهذه الآية تدل على أن إبليس من الجن وليس من الملائكة ، وهذا الذي جعل كثيراً من

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العلماء يختلفون في هذه المسألة ؛ فمنهم من ذهب إلى أنه من الملائكة ، ومنهم من ذهب إلى أنه من الجن ، ولهم في ذلك أقوال:

القول الأول:

إن إبليس من الملائكة ؛ لوجود الاستثناء المتصل في الآيات الكريمة . وقد قال بهذا القول جمهورٌ من العلماء وهم:

(ابن عباس ، وابن مسعود ، وابن جريج ، وابن المسيب ، وقتادة ، والشيخ أبو الحسن الأشعري*)

وقال به جماعة من المفسرين ؛ فقد قال الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره : " وبأن الأصل في الاستثناء الاتصال ؛ بأن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه ، وقد قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ [الكهف:٥٠] . فاستثنى إبليس من الملائكة ، فدل على أنه منهم " [1] . ورجح البغوي (ت٥١٦هـ) في تفسيره أن إبليس من الملائكة : " واختلفوا فيه ، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين : كان إبليس من الملائكة . وقال الحسن : كان من الجن ، ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى : ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ فهو أصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس ، ولأنه خلق من النار ، والملائكة خلقوا من النور .

---

* هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبدالله بن قيس بن حَضّار الأشعري اليماني البصري ،ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ.

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري ، محمد بن جرير ، ج١ ، ص ٥٠٥-٥٠٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة ، والأول أصح " [1] . فالإمام البغوي ذكر أن المفسرين اختلفوا في هذه الآية ، وذكر الخلاف ورجح الرأي الأول وهو رأي ابن عباس وأكثر المفسرين بأن إبليس من الملائكة . ورجح صاحب كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) كون إبليس من الملائكة ، عند تفسيره سورة الحجر : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ " (إلا إبليس) قيل إنه استثناء من الأول ، وقيل إنه ليس من الأول ، وهذا متركب على الخلاف في إبليس : أهو من الملائكة أم لا ؟ والظاهر من الأحاديث ، ومن هذه الآية أنه من الملائكة ؛ وذلك أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود، ولو لم يكن إبليس من الملائكة لم يذنب في ترك السجود " [2] . كما قال بهذا القول الفخرالرازي (ت٦٠٤هـ) في التفسير الكبير بقوله : " واحتج القائلون بكونه من الملائكة بأمرين :الأول : أن الله تعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل أو لصح دخوله ، وذلك يوجب كونه من الملائكة.الثاني: أنه كان جنياً واحداً بين الألوف من الملائكة ، فغلبوا عليه في قوله : ﴿فَسَجَدُوا﴾ ثم استثني هو منهم " [3] ، كما قال بهذا القول القرطبي (ت٦٧١هـ) في تفسيره بقوله: "﴿ إلاإبليس ﴾نصب على الاستثناء المتصل ؛ لأنه كان من الملائكة ، على قول الجمهور: ابن عباس، وابن مسعود ، وابن جريج ، وابن المسيب ، وقتادة ، وغيرهم . وهو اختيار الشيخ أبي الحسن الأشعري ، ورجحه الطبري ، وهو ظاهر الآية " [4] . وورد هذا الرأي عند الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) في"فتح القدير" ،

---

(١) تفسير البغوي ، البغوي ، الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك و مروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، ج١ ، ص٦٣.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق بن غالب ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، تفسير سورة الحجر ، آية ٣١.

(٣) التفسير الكبير ، الرازى ، محمد بن عمر بن الحسين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ج٢ ،ص١٩٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م ، ج١ ، ص٢٩٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

والألوسي(ت١٢٧٠هـ) في " روح المعاني " .وحجتهم في ذلك أن الأمر بالسجود في الآية إنما كان للملائكة ، فلما عصى إبليس هذا الأمر تبين أنه منهم وإلا لما عُد عاصيا .

وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء ؛ استنادا لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة٣٤] . فلو أنه لم يكن من الملائكة لما توجه الأمر إليه بالسجود.

القول الثاني :

إن إبليس ليس من الملائكة ، وإن الاستثناء الوارد في سورة الكهف استثناء منقطع ، وهذا القول قال به بعض المفسرين والعلماء ، قديما وحديثا ؛ أمثال : (الحسن البصري ، والزمخشري في الكشاف ،وابن كثير في تفسيره ، والشنقيطي في أضواء البيان ،والجصاص في أحكام القرآن ، وأبي حيان الأندلسي في البحر المحيط ،و الجلال في تفسيرهما، وسيد قطب في ظلال القرآن ، والشعراوي في تفسيره) .

قال الحسن البصري : (ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر) رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه " [1] . وفي أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت٣٧٠هـ) يقول في قوله تعالى : ﴿ إلا إبليس كان من الجن ﴾[الكهف-٥٠] : " فيه بيان أنه ليس من النور " ، وفيه أخبر أنه من الجن . وقال الله تعالى : ﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ [الحجر-٢٧]،فهو جنس غير جنس الملائكة كما أن الإنس جنس غير جنس الجن ، وروي أن الملائكة أصلهم من الريح ، كما أن أصل بني آدم من

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ج٥ ، ص١٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الأرض ، وأصل الجن من النار " [1] . وذكر ذلك الزمخشري(ت٥٣٨هـ) في تفسيره الكشاف عندعرضه لقول الله تعالى : ﴿ إلا إبليس ﴾ استثناء متصل ؛ لأنه كان جنيا واحدا بين أظهر الألوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه " [2] . كما احتجوا بأن إبليس له ذرية ، والملائكة لا ذرية لهم لقوله تعالى في صفته : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ [الكهف :٥٠] ؛ وهذا صريح في إثبات الذرية له ، وأن الملائكة معصومون ، وإبليس عصى الله فليس من الملائكة ، وأن إبليس مخلوق من نار ، والملائكة مخلوقون من نور ؛ لقوله تعالى حكاية عن إبليس : ﴿ خلقتني من نار ﴾ [الأعراف : ١٢] وأيضا فلأنه كان من الجن ؛ لقوله تعالى :﴿ كان من الجن ﴾ [الكهف : ٥٠] ، والجن مخلوق من النار لقوله تعالى:﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ [الحجر:٢٧] . وقال تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار ﴾ [الرحمن :١٥] ، وأما أن الملائكة ليسوا مخلوقين من النار بل من النور ". عن عائشة قالت : قال رسول الله- ﷺ- : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) " [3]. وقال ابن كثير : (ت ٧٧٤هـ) في قوله تعالى : ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾ أي خانه أصله ؛ فإنه خلق من مارج من نار ، وأصل خلق الملائكة من نور " [4] . وفي تفسير الجلالين " هو أبو الجن كان بين الملائكة استكبر وكان من الكافرين في علم الله تعالى " [5]،

---

(1) أحكام القرآن ، الجصاص ، أحمد بن علي الرازي، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث ، بيروت ـ لبنان ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، باب الاستثناء في اليمين،ج٥ ، ص٤٣.

(2) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٨٠ ، ج١ ، ص ٧٦٩ .

(3) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، مسلم ،أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٧٢، كتاب الزهد والرقائق باب في أحاديث متفرقة ،ج٨ ص٢٢٦، حديث:٥٤٢٥.

(4) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ج٥،ص١٦٧.

(5) تفسير الجلالين ، المحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد و السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، ١٩٩٠ ، ص٦٠٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكان معهم ، فلو كان منهم ما عصى ، وصفتهم الأولى أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون . وقال سيد قطب (ت١٣٨٧هـ) في " في ظلال القرآن " تفسير سورة البقرة آية ٣٤ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿ ٣٤ ﴾ :

" ويوحي السياق أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة ، والاستثناء هنا لا يدل على أنه من جنسهم ، وإبليس من الجن بنص القرآن . والله خلق الجان من مارج من نار وهذا يقطع بأنه ليس من الملائكة " [١] . ويقول الشنقيطي ت(١٣٩٣هـ) في كتابه " أضواء البيان " مبيناً رأيه بقوله : " وأظهر الحجج في المسألة حجة من قال : إنه غير ملك ؛ لأن قوله تعالى: { إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ} الآية ، هو أظهر شيء في الموضوع من نصوص الوحي ، والعلم عند الله تعالى " [٢] . يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ) في تفسيره : " إن العلماء اختلفوا كثيرا على ماهية إبليس : أهو من الجن أم من الملائكة ، وقد قطعت هذه الآية الخلاف وحسمته ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ [البقرة٣٤] ، وقلما جاء القرآن بالنص الصريح الذي يوضح جنسيته فليس لأحد أن يقول إنه من الملائكة "[٣] .

---

[١] في ظلال القرآن ، قطب ، سيد ، دار الشروق ، بيروت – لبنان، ط٢٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ج١، ص٥٨.

[٢] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد بن مختار الجكني الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ج٣ ، ص٢٩١.

[٣] تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، محمد متولي ، مطابع أخبار اليوم التجارية ، ط١ ، ١٩٩١ ، تفسير سورة الكهف ، ص٤٠٦١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

القول الثالث:

وهناك قول ثالث يجمع بين الأقوال للدكتور : عودة أبو عودة ؛ إذ يقول : " للأمر عندي رأي في تصديق القولين جميعا ، فإبليس من الملائكة لا شك في ذلك ولا ريب ، وإبليس(كان من الجن) لا شك في ذلك ولا ريب . هذا نص آيات القرآن الكريم " [1] . وهو يؤكد بذلك أن القرآن لا حشو فيه ولا زيادة ، ولا نقص ولا ترادف ، وأن كل كلمة في القرآن الكريم وضعت في مكانها ، والتي لا تغني عنها كلمة أخرى ، وأنه ليس من المقبول ، أو المعقول أن نمر على تكرار آيات الله في ذكر إبليس ضمن الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم ، ثم نقول إن إبليس ليس من الملائكة"[2].ويقول في موضع آخر :"إن إبليس كان من الملائكة حيث وظيفته ووظيفتهم ،فالملائكة صنف من الخلق اختصهم الله – عز وجل – بوظيفة أو وظائف تتفق مع خصائص خلقهم ، وكلمة الملائكة... تحدد تلك الوظيفة وليست تحمل خصائص ذلك الصنف من الخلق، ولما كان إبليس أهلا للقيام بتلك الوظيفة كان من الملائكة ، ولما فقد مؤهلاته طرد من وظيفته وفقد مكانته. وهذا لا يتنافى مع كونه – في أصل خلقته – من الجن" [3]

والراجح في هذه المسألة والله أعلم:

ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني بأن إبليس ، من الجن ؛ لورود النص الصريح الذي يؤكد ذلك ، والدليل على أن إبليس من الجن قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا

---

(1) العلاقة الدلالية بين إبليس والملائكة في ضوء قواعد باب الاستثناء ، أبو عودة ، عودة ، مجلة البلقاء ، المجلد الخامس ، العدد الثاني ،١٩٩٨ ، ص٢٨.

(2) المرجع السابق ، ص٢٨

(3) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم،أبو عودة ،عودة خليل ،ص٤٧٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴾[الكهف٥٠]، وقوله تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم-٦]، وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن١٥]، وقال عليه الصلاة والسلام : " وخلق الجان من مارج من نار "[١] ، ولقول الحسن البصري : (ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ،وإنه لأصل الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل البشر)[٢] . ولكن عندما كان معهم يتعبد ويتنسك دخل معهم في الخطاب ، وعصى أمر الله له بالسجود ، وكما قال الفقهاء لا اجتهاد مع النص.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

[١] مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٨ ، ج٦، ص١٥٣، رقم الحديث ٢٥٢٣٥.
[٢] تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ج٥،ص١٦٧

الفصل الأول

الصورة الفنية للشيطان

أولاً: مفهوم الصورة في القرآن الكريم

ثانياً: أنواع الصور الفنية للشيطان في القرآن الكريم:

١- الصورة الحركية

٢- الصورة النفسية

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: الصورة في القرآن الكريم

قبل أن أشرع في الحديث عن مفهوم الصورة الفنية ، لا بد لي من وقفة يسيرة نستعرض فيها ما جاء في المعاجم اللغوية حول كلمة الصورة ، وحتى يكتمل مفهوم الصورة سأعرض التعريف اللغوي و الاصطلاحي لهذه الكلمة.

الصورة لغة:

جاء في لسان العرب : " والجمع صُوَرٌ وصِوَرٌ وصُوُرٌ ؛ وقد صَوَّرَهُ فَتَصَوَّرَ . وتصورت الشيء : توهمت صورته ، فتصور لي . والتصاوير التماثيل ، وقال ابن الأثير : الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها ، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته ، وعلى معنى صفته ، يقال : صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته " [1].

وجاء في القاموس المحيط : " الصورة ، بالضم ، الشكل ، وقد صوره فتصور ، وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة " [2].

وفي المعجم الوسيط : " الصورة الشكل ، والتمثال المجسم ، وصورة الأمر أو المسألة : صفتها ، والنوع ، يقال : هذا الأمر على ثلاث صور ، وصورة الشيء : ماهيته المجردة ، وخياله في الذهن أو العقل. " [3]

---

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، ج٤ ، ص٤٧٣ ، مادة (صور).
(2) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، مادة (صور).
(3) المعجم الوسيط ، مصطفى ، إبراهيم وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، استانبول – تركيا ، ط٢ ، ١٩٧٢، ج١، ص٥٢٨ ، مادة (صور).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

هذا من ناحية تعريفها اللغوي ، أما في البحث عن أصولها واشتقاقها فابن فارس في " معجم مقاييس اللغة " يقول عنها : للصاد والواو والراء كلمات كثيرة متباينة الأصول وليس هذا الباب بباب قياس ولا اشتقاق... من ذلك الصُّورة صورةُ كلِّ مخلوق، والجمع صُوَر، وهي هيئةُ خِلْقته،...ورجل صَيِّرٌ إذا كان جميلَ الصورة "[1] . فلفظة الصورة اسم مصدر من " صير أو صور " وورد مصدره قياسا بصيغة تصوير ، وفعله يفيد التأثير في الشيء والشيء يتقبل التأثير [2].

الصورة اصطلاحا:

وحتى يكتمل مفهوم الصورة الفنية ، يجدر بنا أن نعرِّف بمصطلح الصورة الفنية بوصفها مصطلحا نقديا . فلقد اهتم الشعراء والفلاسفة والنقاد بمصطلح الصورة الفنية ، واتسع ليشم الفلسفة والأدب ، والعلوم المحضة ، والمنطق ، وعلم الجمال ، وغير ذلك[3]. "فلمصطلح الصورة مفاهيم مختلفة لدى أفرع المعرفة في عصرنا الحديث ، فمفهومه في علم النفس غير مفهومه في الفلسفة ، ومفهومه في الفلسفة غير مفهومه في النقد الأدبي أو الشعر ، بل إن مفهومه في الشعر ليس واحدا دائما ، وإنما هو في تحوير وتبديل مستمرين ؛ حتى إن كل مدرسة فنية تعطي المفهوم الذي يتفق مع فلسفتها العامة " [4] . وفي ما يلي عرض لذكر الصورة والمراحل التاريخية التي مرت بها عند القدامى ، حتى وصلت إلى ثوبها الجديد عند المحدثين ، وذلك لما للصورة أو التصوير من أهمية بالغة ، فإن الشعر قائم على التصوير ،

---

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ج٣ ، ص٣١٩-٣٢٠.

(٢) انظر : التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم ، القاسم ، محمد محمود صالح ، رسالة دكتوراة ، جامعة اليرموك ، إربد – الأردن ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ ، ص ١٠.

(٣) انظر : البلاغة القرآنية دراسة في الصورة الفنية ، القاسم ، محمد محمود صالح ، مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ، ط١، ص١٥

(٤) الصورة الفنية في النقد الشعري ، الرباعي ، عبد القادر ، إربد ، مكتبة الكتاني ، ط٢ ، ١٩٩٥ ، ص٨٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

وهذا مما يزيده روعة وإبداعا وأثرا فنياً ، فكيف إذا وجد هذا التصوير في القرآن الكريم ، وهذا ما جعل المفسرين والنقاد والأدباء يهتمون بالتصوير ؛فهو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ؛ " فالقرآن يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة " (١).

ويختلف التصوير في القرآن الكريم كثيرا عن غيره من التصوير الموجود في الأبيات الشعرية أو غيرها ؛ وذلك لأنه كلام الله – سبحانه وتعالى – الذي تحدى به العرب ، فهو المعجزة الخالدة ، فالتصوير فيه " تصوير باللون، وتصوير بالحركة ،وتصوير بالتخييل ، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل " (٢) . فلا يقارن التصوير في كلام الله بالتصوير في غيره من كلام البشر ، وذلك لعصمة كلام الله تعالى عن كل خطأ أو زلل ، ولأن كل تصوير في كتاب الله تعالى جاء في موقعه المناسب له ، ولا يمكن أن تجد له مكانا آخر يناسبه غير ما وضع له ، فسيظل المعجزة الخالدة .

(١) التصوير الفني في القرآن ، قطب ، سيد ، دار الشروق ، بيروت – لبنان ، ط٩ ، ٢٠٠٠ ، ص٣٦.
(٢) المرجع السابق ، ص٣٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

• الصورة عند النقاد القدامى:

"لم يكن استعمال لفظ الصورة أو بعض مشتقاتها حديثا ، بل وجد عند القدامى ؛ كما في القرن الثالث الهجري عند الجاحظ (ت٢٥٥هـ) الذي استعمل مادة الصورة ، فقال وهو يتحدث عن الشعر : فإنما الشعر ضرب من النسج ، وجنس من التصوير " [١] . فجعل التصوير عملية ذهنية تصنع الشعر.

واستعملها قدامة بن جعفر(ت ٣٣٧هـ) قد استعملها نصاً ، وعدها الهيكل والشكل ، في مقابل المادة والمضمون ، فقال متحدثا عن الشعر : " معاني الشعر بمنزلة المادة والمضمون ، والشعر فيها كالصورة ، كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة " [٢] . في حين أننا نجد الرماني (ت ٣٦٨هـ) كان أكثر تحديدا لمعنى التصوير ؛ إذ قال : " تجسيد المعنويات في المحسوسات ، التي لا تُرى بالأبصار ، " فعلى سبيل المثال يتوقف الرماني عند قوله تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[إبراهيم-١] ويفسره على النحو التالي : " كل ما جاء في القرآن الكريم من ذكر :﴿الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾فهو مستعار ، وحقيقته من الجهل إلى العلم والاستعارة أبلغ لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يدرك بالأبصار" [٣].

وجاء عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) فأعطى للصورة في المجالات النقدية مدلولا خاصا شرحه بقوله : " واعلم أن قولنا : إنما الصورة هي تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا

(١) انظر : البلاغة القرآنية دراسة في الصورة الفنية ، القاسم ، محمد محمود صالح ، مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ، ط١، ص٣٠
(٢) انظر المرجع السابق ص ٣٠
(٣) انظر : المرجع السابق ص٣١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة ، فكان بين إنسان من إنسان ، وفرس من فرس ، بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك ، وكذلك الأمر في المصنوعات فكان بين خاتم من خاتم وسوار من سوار بذلك ، ثم وجدنا بين المعنى من أحد في أحد البيتين ، وبينه في الآخر بينونة، في عقولنا فرقا ، عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك ، وليست العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكره منكر ، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ،ويكفيك قول الجاحظ : وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير " [1].

كما استخدم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) لفظة التصوير في تفسيره الكشاف فقد استخدم مصطلحات التمثيل والتخييل والتصوير ؛ مبيناً أنها تُظْهِر المعنى في صورة حسية ، حيث يقول : " إنما هي الطريق إلى المعاني المحتجبة في الأشياء ؛ حتى تبرزها ، وتكشف عنها ، وتصورها للأفهام " [2].

" أما ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) فقد ألح على الجانب البصري في الصورة ، وأطلق هذا المصطلح على كل مرئي ومشاهد من التشبيهات كقوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿ ٤٨ ﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿ ٤٩ ﴾ ﴾ [سورة الصافات آية ٤٨-٤٩] ، وهذا التشبيه عنده من قبيل تشبيه صورة حسية بصورة حسية ، وهناك تشبيه معنى بصورة ؛ في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ

(١) دلائل الإعجاز ، الجرجاني، عبد القاهر ، تحقيق : محمد التونجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ص ٣٦٩.

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، أبو موسى ، محمد محمد ، مكتبة وهبة ، القاهرة – مصر ، ط٣ ، ١٩٨٨م ، ص٤٠٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

﴾[النور-٣٩] "[١] . وعند حازم القرطاجني (ت ٦٨٤م) نجد أن لغة الشعر هي لغة حسية ؛ فالكلمات عنده مجموعة من المثيرات الحسية تثير في ذهن المتلقي صوراً وإحساسات.[٢]

الصورة عند النقاد المحدثين:

لقد حظيت الصورة في العصر الحديث باهتمام واسع في مجال الأدب والنقد ، وأصبحت من أبرز ظواهر الأدب عامة ، والشعر خاصة ، واهتم النقاد المحدثون بدراستها ،وأولوها كل عناية. فدرسها بعضهم من خلال التراث ، والتفت آخرون إليها متأثرين بمفاهيم النقد الغربية ، وبعضهم الآخر جمع في دراستها بين النقد القديم والنقد الحديث "[٣].

وما تزال حقيقة الصورة موضع اختلاف عند النقاد المحدثين من العرب والغربيين والمستشرقين ، على الرغم من دراستهم للصورة الفنية لأي عمل أدبي ، فهم يذهبون بذلك مذاهب هي أقرب إلى الغموض منها إلى الوضوح.[٤] " فالتصور ينشأ عن الإدراك الحسي الذي هو الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال حاسة أو عضو حاس ، وهو يعني الفهم أو التعقل بواسطة الحواس، وذلك كإدراك ألوان الأشياء، وأشكالها ،وأحجامها ،وأبعادها بواسطة البصر "[٥] . وعليه فالتصور إذن هو استحضار صورة المدركات الحسية عند غيبتها عن الحواس من غير تصرف فيها ؛ بزيادة ، أو نقص ، أو تغيير ، أو تبديل "[٦].

فالتصور بمعنى آخر : هو العلاقة بين الصورة والتصوير ، وأدواته الفكر فقط ، وأما التصوير فأداته الفكر ، واللسان ، واللغة ، والريشة ، والألوان ، وآلة التصوير ، وغيرها .

---

(١) **البلاغة القرآنية دراسة في الصورة الفنية** ، القاسم ، محمد محمود ، ص٣٦

(٢) انظر : **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، القرطاجني ، أبو الحسن حازم ، تحقيق : محمد حبيب الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٩٦م ، ص٢٣.

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١.

(٤) انظر : **الصورة الفنية في المثل القرآني** ، الصغير ، محمد حسين علي ، ص٢٧ .

(٥) **في النقد الأدبي** ، عتيق ، عبد العزيز ، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٢م ، ص٦٩

(٦) المرجع السابق ، ص٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالتصور هو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني ، أما التصوير الفني في القرآن : " فهو طريقة التصوير في التعبير وجعله الأداة المفضلة في أسلوبه ، فالقرآن يعبر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة " [١] . فالتصور هنا : تصوير باللون وتصوير بالحركة ، وتصوير التخييل ، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل ، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور " [٢] .

لقد كان لنظرية التصوير الفني في القرآن الكريم أثر كبير في الدراسات القرآنية والأدبية والنقدية المعاصرة ، حيث مكنت معظم الباحثين والنقاد من اكتشاف مكمن الجمال في أسلوب القرآن المعجز ، وقد برعت الآيات في تصوير الشيطان ، وتنوعت الأساليب بحيث جاءت الصورة معبرة عن المعنى المقصود ، وكأن المشهد المصور حاضر ونابض بالحياة ، تراه الأعين ، وتدركه الحواس .

واللغة العربية تمتاز ، على غيرها من اللغات الأخرى ، بخصوصية أساليبها ،وتنوعها بأنها لغة تصويرية ؛ ويظهر هذا التصوير جلياً من خلال الاستعمالات الحقيقية والمجازية للألفاظ ؛ حيث ينتج عن هذا التصوير استثمار اللغة وإظهار خصائصها[٣] . " الأمر الذي يؤدي من خلال تركيب الكلمات والعبارات إلى بعث الصورة الموحية عن طريق التعبير المجازي والحقيقي ، بحيث تعود للكلمات قوة معانيها التصويرية " [٤] . والصور الأدبية في القرآن الكريم تتنوع وتتعدد، وكل صورة تحمل في طياتها معاني وألفاظًا ودلالات ، تناسب

---

(١) التصوير الفني في القرآن ، قطب ، سيد ، ص٣٦.
(٢) المرجع السابق ، ص٣٧.
(٣) انظر: صورة الجنة في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير، الزعبي ، زهير موسى ، ٢٠٠٥م،ص٢٩.
(٤) لغة الشعر العربي الحديث ، الورقي . سعيد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٣ ، ص٧٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الغرض الذي ذكرت له ، وهذا من الإعجاز القرآني ، فلكل صورة تعبيرها وتأثيرها في النفس البشرية ؛ فالله – سبحانه وتعالى – يضرب الأمثال للناس وينوع فيها ؛ فتارة يأتي بذكر صورة الجنة وما فيها من نعيم ؛ للترغيب والمسارعة للحصول عليها ، وتارة يأتي بذكر صورة النار وما فيها من عذاب وأهوال ؛ لتنبيه الغافلين وتحذيرهم منها ، ومن السبيل الذي يؤدي إليها ، وتارة يأتي بذم الدنيا وذم التعلق بها ، وأن الآخرة خير من الدنيا الفانية ، كذلك حذر الله – سبحانه وتعالى – من اتباع الشيطان ، فجاء ذكر الشيطان في القرآن الكريم مسنداً له أفعال الشر بجميع أشكالها ، ونجد أيضا أن كل صورة شريرة في القرآن مرتبطة ارتباطا تاما بالشيطان ؛ فالشيطان هو العنصر الفعال في أفعال الشر ، فهو يتوعد بني آدم بالضلال والغواية ، فجاء أسلوب التصوير الفني في القرآن الكريم ليترك الأثر ويحرك العاطفة ، ويهز المشاعر ، " وتسمو بالأحاسيس وترتقي بالوجدان ؛ فتنبض النفس بالحيوية والقوة ، وتتجاوب مع أصداء الحياة وأسرار الجمال في الطبيعة والكون " [1] . فالتصوير من الأساليب المفضلة في القرآن ، فهو تعبير بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة ، أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ؛ وإذا النموذج الإنساني شاخص حي ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر ، فيردها شاخصة حاضرة ، فيها الحياة وفيها الحركة ؛ فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل ، فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين

---

[1] وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، الراغب ، عبد السلام أحمد ، دار فصلت ، حلب ، ط١، ٢٠٠١ ، ص٥٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نظارة ، وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول ، التي وقعت فيه أو ستقع حيث تتوالى المناظر وتتجدد الحركات . "[1] .

وقد تنوعت الصور الفنية في القرآن الكريم ، ولم يقتصر القرآن في تصويره على نوع واحد من الصور ، بل جاءت متنوعة ؛ لتتناسب مع الهدف الذي وجدت لأجله ؛ مثل الصورة الحركية ، والصورة النفسية ، والصورة الساكنة ، وسنقوم – بإذن الله تعالى – بتتبع هذه الصور في الآيات القرآنية ، التي تكون ضمن الحديث عن الشيطان ، والوقوف عليها ، وعلى تجلياتها ، ومحاولة إظهار تأثيرها في النفوس وإظهار إعجازها القرآني .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

[1] التصوير الفني في القرآن الكريم ، قطب ، سيد ، ص٣٢.

المبحث الثاني : أنواع الصور الفنية للشيطان في القرآن الكريم

١- الصورة الحركية :

تعددت الصور الحركية في القرآن الكريم حتى أصبحت " الحركة سمة واضحة من سمات التصوير الفني ، وقاعدة من قواعده ، وخصيصة من خصائصه ، وهي ملحوظة في كل آفاق التصوير ، سواء المعنى الذهني ، أو الحالة النفسية ، أو النموذج الإنساني ، أو القصص والأمثال والحوادث والمشاهد ، أو غير ذلك من الآفاق " [١] . إن في الحركة تمييزًا بين المخلوقات الحية عن الجمادات ؛ فالحركة تدل على الحياة والتجدد . والثبات يدل على الشلل،والموت،والجمود ، وعنصر الحركة هو أكثر العناصر استعمالاً في القرآن الكريم ؛ لما فيه من تشكيل المشاهد القصصية والصور الفنية الرائعة . ومن ذلك ما جاء من تصوير للشيطان في القرآن الكريم ، فهو عنصر الشر في الحياة ، فلا نجد له صورة ساكنة أو صامتة ؛ فهو يتحرك ويتخبط ؛ للإفساد في الأرض ، فقد أخذ العهد على نفسه ، وأقسم بعزة الله ليغوي الناس أجمعين إلا عباد الله المخلصين ، لأنه يستطيع إغواءهم ، فكيف يهدأ له بال وهو يعلم أنه ذاهب إلى النار ، وأنه من المنظرين إلى يوم القيامة ، والآيات القرآنية التي تحدثت عن أفعال الشيطان كثيرة ؛ فمن خلالها تتضح لنا هذه الصور الشريرة ، فما من شر إلا وكان الشيطان سببه ، فأصبح الشيطان هو القدوة في الشر ، وما من شيء قبيح تكرهه النفوس وتنفر منه إلا وقُرِنَ ذكرُه بالشيطان ، وكثير من الأفعال الشريرة في القرآن الكريم قد أسندت للشيطان ، فهو العدو المتربص بالإنسان المتوعد له بالهلاك . " وإنما كان عدوا ؛ لأن عنصر خلقته مخالف لعنصر خلق الإنسان ؛ فاتصاله بالإنسان يؤثر خلاف ما يلائمه . وقد كثر في القرآن تمثيل الشيطان في صورة العدو المتربص بنا الدوائر ؛ لإثارة دعايةَ مخالفته

---

[١] نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، الخالدي ، صلاح عبد الفتاح ، دار الفرقان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ١٩٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في نفوسنا ؛ كي لا نغتر حين نجد الخواطر الشريرة في أنفسنا ، فنظنها ما نشأت فينا إلا وهي نافعة لنا ؛ لأنها تولدت من نفوسنا . ولأجل هذا أيضا صُوِّرت لنا النفسُ في صورة العدو في مثل هذه الأحوال " [1].

والشيطان مخلوق من نار ، وطبيعة النار الخفة والطيش ، التي تدل على كثرة الحركة في كل مكان ، فهو يتربص بالإنسان ؛ ليضله عن الطريق . فلذلك جاء التحذير من اتباع الشيطان . وجاء القرآن بأساليب متنوعة ، وتصوير فني رائع في التنفير من الشيطان ؛ ومن ذلك تصويره بأبشع الصور وأقبحها ؛ كقوله تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾[الصافات-٦٥] ، ففي هذا التصوير الفني الرائع تصوير قبح هذه الشجرة وشناعتها ، وذلك من خلال تشبيهها برؤوس الشياطين ، التي مجرد تصورها يثير الفزع والرعب في النفوس . يقول سيد قطب : " قليل من صور القرآن هو الذي يُعرض صامتاً ساكناً – لغرض فني يقتضي الصمت والسكون – أما أغلب الصور ففيها حركة مضمرة أو ظاهرة ، حركة يرتفع بها نبض الحياة وتعلو بها حرارتها . وهذه الحركة ليست مقصورة على مشاهد القصص والحوادث ، ولا على مشاهد القيامة ، ولا صور النعيم والعذاب ، أو صور البرهنة والجدل . بل إنها لتُلحظ كذلك في مواضع أخرى لا ينتظر أن تلحظ فيها ، ويجب أن ننبه إلى نوع هذه الحركة ، فهي حركة حية مما تنبض به الحياة الظاهرة للعيان ، أو الحياة المضمرة في الوجدان . هذه الحركة هي التي نسميها " التخييل الحسي " وهي التي يسير عليها التصوير في القرآن لبث الحياة في شتى الصور ، مع اختلاف الهيئات والألوان " [2] .

---

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد ، ج٢، ص١٠٤.

(٢) التصوير الفني في القرآن ، قطب ، سيد ، ص٦١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والأمثلة على الصور المتحركة للشيطان في القرآن كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ { البقرة- ١٦٨}.وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور٢١].

فإن من يقرأ قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ {البقرة-١٦٨} . يتخيل حركة الشيطان يخطو والناس وراءه يتبعون خطواته ، " فإن كلمتي " تتبعوا ، وخطوات " تخيلان حركة خاصة هي حركة الشيطان يخطو والناس وراءه يتبعون خطواته . وهي صورة حين تجسم هكذا تبدو عجيبة من الآدميين وبينهم وبين الشيطان الذي يسيرون وراءه ، ما أخرج أباهم من الجنة ! "[1] . " فحركة خطى الشيطان ، تتبعها حركة الإنسان مقتفيا خطواته حركة متخيلة تساعد على رسم المشهد وهو يقود أتباعه إلى الضلال . وهناك الظلال المصاحبة للصورة بالإضافة إلى الإيقاع والحركة "[2] . إنها لصورة مستنكرة أن يخطو الشيطان ، والمؤمنون يسيرون خلف خطاه ، والأجدر بالمؤمنين أن يفروا منه وأن يسلكوا طريق الحق والهدى ، وجاء الفعل (ولا تتَّبعوا) بالتضعيف ؛ لإفادة التكثير ، والإصرار على اتباع خطوات الشيطان.

---

(١) المرجع السابق ، ص٦٤.

(٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، الراعي، عبد السلام أحمد ، ص٤٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

" وهناك صورة أخرى لحركة الشيطان باختلاف يسير ؛ حيث إن الشيطان في هذه المرة هو الذي تبع هذا الضال ليغويه ، فكان من الغاوين " [1] . كما جاء في قوله تعالى:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ ﴿الأعراف-١٧٥﴾. " فأتبعه الشيطان " فلحقه الشيطان، وأدركه ،وصار قرينا له ، أو فأتبعه خطواته . وقرئ : فاتَّبَعه بمعنى فتبعه " [2] ، " أي لحق به يقال : أتبعت القوم أي لحقتهم " [3] . في الآيات السابقة جاء الفعل (تَبِعَ) مُضَعَّفاً ، وكما هو معلوم أن كل زيادة في المبنى غالبا ما تقابلها زيادة في المعنى ، وتشديد الفعل (تتبعوا) تكرر في الآيات السابقة ، فدل على كثرة الاتباع ، والسير خلف خطوات الشيطان .

ومن الأمثلة على الصور الحركية للشيطان في القرآن قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴾ {مريم -٨٣ }.وقوله تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ {المؤمنون٩٧} . فقد جاءت في الآيات السابقة صور فنية حركية رائعة ، تصور الشيطان وهو يستدرج الإنسان خطوة خطوة ، ويستزله ، ويجعله يحيد عن الطريق المستقيم ، ويهمز ويحضر ، " والهمز حقيقته : الضغط باليد ، والطعن بالإصبع ونحوه ، ويستعمل مجازا بمعنى الأذى بالقول أو بالإشارة ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾ ، وقوله : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ . وهمز شياطين الجن ظاهر . وأما همز شياطين الإنس فقد كان من أذى المشركين للنبي – ﷺ – ولمزه والتغامز عليه والكيد له . ومعنى التعوذ من همزهم : التعوذ من آثار

---

(1) التصوير الفني في القرآن ، قطب ، سيد ، ص٦٤.
(2) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ، ج٢ ، ص١٦٧.
(3) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ج٧ ، ص٣٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ذلك ، فإن من ذلك أن يغمزوا بعض سفهائهم إغراءً لهم بأذاه ؛ كما وقع في قصة إغرائهم من أتى ببسلا جزور ، فألقاه على النبي ﷺ وهو في صلاته حول الكعبة . وأما قوله تعالى:{وأعوذ بك رب أن يحضرون} ، فهو تعوذ من قربهم لأنهم إذا اقتربوا منه لحقه أذاهم " (١) ، فالشياطين تحضر لتفسد ، وهذا الحضور يتطلب حركات ، فأمرنا بالاستعاذة بالله منهم ، ففي هذه الآية تصوير رائع حينما وصف الشياطين بالحضور ، وكأننا نراهم يحضرون، ويجلسون، ويشاركوننا في مأكلنا ومشربنا ، ومن حركات الشياطين أنها تؤزُّ الكافرين على فعل الشر ، وتحثهم عليه ، ومعنى " تؤزهم أي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بأنواع الوساوس و التسويلات ، فإن الأزَّ والهزَّ والاستفزاز أخوات معناها شدة الإزعاج " (٢) . ومن الصور الحركية للشيطان في القرآن قوله تعالى:﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ {الأنبياء -٨٢} . فقد سخَّر الله سبحانه وتعالى الجن والشياطين لنبي الله سليمان – عليه السلام- ، فمنهم من يغوصون في البحار لاستخراج الدُر والجواهر ، ويبنون القصور والتماثيل ، وكل هذه الأعمال لابد لها من حركة . فجاء القرآن بهذا التصوير الرائع الذي يصف لنا بعض أعمال الشياطين ، فهم يغوصون في البحر ، والغوص يختلف عن الطوفان فوق البحر ، فالغوص يحتاج إلى حركات سريعة ، بينما الطوفان على البحر لا يحتاج إلى حركات سريعة ، فجاء التعبير القرآني بالغوص ، وهو الدخول في أعماق البحر ، وما يحتاجه من حركات سريعة ، وفي الآية نفسها جاء وصف الشياطين بأنهم يعملون أعمالاً غير هذا ، فكل عمل لا بد له من حركة تناسب العمل الذي يعمله ، فمن الأعمال ما يناسبها

---

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ابن عاشور ، ج١، ص٢٨٦١،

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي، تحقيق : دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، ١٩٧٠، ج٥، ص٢٨١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحركات السريعة ، ومنها ما تناسبه الحركات البطيئة ، فصناعة المحاريب والقدور والتماثيل تحتاج إلى دقة وتأن في الصناعة ، وهذا يحتاج إلى حركات خاصة ، ومن الصور الحركية للشيطان قوله – تعالى– على لسان إبليس : ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ففي قول إبليس: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ﴾ دليل على أن إبليس يقعد ، وهناك فرق بين القعود والجلوس ، فالقعود " يدل على المكث واللبث ، بخلاف الجلوس حيث يدل على سرعة التحول والتغير " [1] . ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ١٧ ﴿الأعراف–١١–١] ، يقول سيد قطب" فهو الإصرار المطلق على الشر ، والتصميم المطلق على الغواية . . وبذلك تتكشف هذه الطبيعة عن خصائصها الأولى . . شر ليس عارضاً ولا وقتياً . إنما هو الشر الأصيل العامد القاصد العنيد ، ثم هو التصوير المشخص للمعاني العقلية والحركات النفسية ، في مشاهد شاخصة حية ... وإنه سيأتي البشر من كل جهة : { من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم } للحيلولة بينهم وبين الإيمان والطاعة . . وهو مشهد حي شاخص متحرك لإطباق إبليس على البشر في محاولته الدائبة لإغوائهم "[2] فالشيطان حريص على أن يقعد في طريق الناس ويترصد لهم ، والقعود ضد الوقوف ، وكل منهما يحتاج إلى حركة ، ولا يكتفي إبليس بالقيام والقعود فقط ، بل يتنقل في الجهات الأربع المحيطة بالإنسان عن اليمين ، و الشمال ، ومن الأمام و الخلف . لذلك لم يكن نبينا محمد –ﷺ – يترك الاستعاذة حين يمسي وحين يصبح فـ (عن جُبَيْرِ بن أبي سُلَيْمَانَ بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ قال سمعت بن عُمَرَ يقول : كان رسول اللَّهِ – ﷺ – يَدَعو هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حين يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ : اللهم إني أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللهم إني أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ في دِينِي

---

(١) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم ، الشايع ، محمد بن عبد الرحمن ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، ص٢٩٠.

(٢) في ظلال القرآن ، قطب ، سيد ، دار الشروق ، بيروت – لبنان، ط٢٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ج٣، ص١٩٧،١٩٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي ، اللهم اسْتُرْ عَوْرَتِي ، وقال عُثْمَانُ : عَوْرَاتِي ، وَآمِنْ رَوْعَاتِي ، اللهم احْفَظْنِي من بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي ، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ، وَمِنْ فَوْقِي ، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ من تَحْتِي . قال أبو دَاوُد : قال وَكِيعٌ : يَعْنِي الْخَسْفَ)[1] . ففي هذا الحديث النبوي يأمرنا النبي -ﷺ- بالاستعاذة من الشيطان الذي يتحرك في جميع الجهات ؛ ليجد مدخلاً إلى الإنسان ؛ ليفتك به ؛ يقول الشعراوي:" حدد الأماكن التي يأتي منها الإغواء. فقال:{ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ }[الأعراف: ١٧] نلحظ هنا أن الجهات بالنسبة للإنسان ستة. اليمين والشمال. والأمام والخلف وأعلى وأسفل، ولكن إبليس لم يذكر إلا أربعة فقط. "[2].

قال ابن عاشور في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ﴿البقرة- ١٦٨﴾ : " واتباع الخطوات استعارة تمثيلية أصلها أن السائر إذا رأى آثار خطوات السائرين تبع ذلك المسلك ، علما منه بأنه ما سار فيه السائر قبله إلا لأنه موصل للمطلوب ، فشبه المقتدي الذي لا دليل له سوى المقتدى به ، وهو يظن مسلكه موصلا بالذي يتبع خطوات السائرين ، وشاعت هذه التمثيلية حتى صاروا يقولون هو يتبع خطى فلان بمعنى يقتدي به ويمتثل له ، والاقتداء بالشيطان إرسال النفس على العمل بما يوسوسه لها من الخواطر البشرية ...واللام في (الشيطان) للجنس ويجوز أن تكون للعهد ويكون المراد إبليس وهو أصل الشياطين وآمرهم ، فكل ما ينشأ من وسوسة الشياطين فهو راجع إليه ؛ لأنه الذي خطى الخطوات الأولى " [3] . فالشياطين موجودات مدركة تتحرك بيننا وفينا، ولا أصدق من

---

(1) سنن أبي داود ، أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ،كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٦، ج ٤ ، ص٤٧٩.

(2) تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، محمد متولي ، ج١،ص٢٥٧.

(3) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ابن عاشور ، ج١، ص ٤٩٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قول نبينا محمد -ﷺ- الذي لا ينطق عن الهوى :((إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)) [1] فقد عبر النبي - ﷺ - بالجري ولم يعبر بالمشي ، وإنما اختار لفظة الجري لتتناسب مع سرعة حركته ، وسرعة تلاعبه بابن آدم ، فهو يشاركنا في كل شيء ولا سبيل للخلاص منه إلا بالاستعاذة بالله من شره في كل الأمور.

ومن الأمثلة على الصورة الحركية قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿البقرة ٢٧٥﴾ . إن الحركة ملحوظة في جزئيات هذا المشهد الحي ، عيون السامعين تشاهد هذا الذي يأكل الربا بشراهة ، ويرتكب ما حرم الله متبعا في ذلك خطوات الشيطان ، فلما أراد الله أن يبين شناعة أكل الربا ضرب أروع الأمثال في تصوير حال آكل الربا ومتعاطيه بأبشع الصور الحية المتحركة ، حيث صوره بالذي أصابه الجنون ، فأصبح الشيطان يتخبطه ، بسبب ما أصابه من المس ، فكأننا نشاهد آكل الربا ، وهو في حالة الجنون ، وهو يتخبط يمينا وشمالا ؛ بسبب تخبطه بالمعاملات . والخبط فيه حركة عشوائية ومتكررة ، حيث ضُعِّفَ الفعل " يتخبَّط " . ومن المعلوم عند علماء البيان وفي النحو والصرف أن الزيادة في مبنى الكلمة غالباً ما يقابلها زيادة في المعنى- قاعدة أغلبية وليست مطردة- ، فدل التشديد في الفعل على المبالغة في الحركة والتخبط ، وجاء في اللغة " (خ ب ط) خبط البعير الأرض بيده ضربها . ومنه قيل خبط عشواء وهي الناقة التي في بصرها ضعف ، تخبط إذا مشت لا تتوقى شيئا . وخبط

---

(1) مختصر صحيح مسلم ، المنذري ، زكي الدين عبد العظيم ، تحقيق : الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ٣ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ص ٣٧٣ ،كتاب الأدب ،باب إذا مرَّ برجل ومعه امرأة فليقل :إنها فلانة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الشجرة ضربها بالعصا ليسقط ورقها وبابهما ضرب . والخباط بالضم كالجنون ،وليس به تقول تخبطه الشيطان أي أفسده " [1] .

ومن ذلك قول الشاعر:

رَأيتُ المَنايا خَبطَ عشواءَ من تُصبْ *** تُمِتْهُ وَمَن تخطئْ يُعَمَّرْ فيهرَمِ " [2]

فالشاعر يصور الموت في المعركة بناقة عمياء تتخبط في مشيتها ، فتذهب يميناً وشمالا ، وتخبط من جاء في طريقها ، وهكذا المنايا .

" وحق أن نقول : ما كان لأي تهديد معنوي ليبلغ إلى الحس ما تبلغه هذه الصورة المجسمة الحية المتحركة صورة المسموع المصروع ، وهي صورة معروفة معهودة للناس"[3]

ومن الأمثلة على الصورة الحركية في قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ [الإسراء٦٤] . فالخطاب في هذه الآية موجه لإبليس ﴿ وَاسْتَفْزِزْ ﴾ ، ﴿ وَأَجْلِبْ ﴾ ، ﴿ وَشَارِكْهُمْ ﴾ " إنما هي للتهديد ؛ أي افعل ذلك فسترى عاقبته الوخيمة . ﴿ وَاسْتَفْزِزْ ﴾ أي استخف من استطعت أن تستفزه منهم . فالمفعول محذوف لدلالة المقام عليه " [4] . فالاستفزاز بالصوت حركة من حركات الشيطان التي يسلطها على المؤمنين لإضلالهم ، وفي هذه المشاهد صورة حية لحركات الشيطان بالصوت ، والخيل ، والرجل . والمشاركة في الأموال والوعد ، فكل ما تقدم لا بد له من

---

(1) مختار الصحاح ، الرازي ، ج١، ص٧١ ، مادة (خبط) .

(2) ديوان زهير ، ابن أبي سلمى ، زهير ،تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة ،بيروت ـ لبنان ،ط٣، ١٩٨٠م ص٢٥.

(3) خصائص التشبيه في سورة البقرة دراسة تحليلية ، داود ، إبراهيم علي حسن ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ٥٣٧

(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي ، ج١٨ ، ص٣١٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

حركة ، فالأفعال : استفزز ، أجلب ، شاركهم ، عدهم ، تدل على الحركة والتجدد . وهذا الأمر من الله سبحانه وتعالى للشيطان في مقام التهديد .

ومن الأمثلة على الصورة الحركية قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال٤٨]

إن الصورة الحركية للشيطان في هذه الآية تتمثل بقوله تعالى : ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ ، فعند الرجوع إلى معنى كلمة (نكص) نجد أنها تدل على معنى الرجوع إلى الخلف ، وعما قد عُزِم عليه[1] ، فالرجوع إلى الخلف يحتاج إلى حركة ، وليست كأية حركة ، وإنما حركة مشبعة بالخوف ، وفي التفسير:" نكص الشيطان على عقبيه، أي : تراجع مدبرا، وولّى هاربا، وتبرأ منهم، أي بطل كيده حين نزلت جنود اللّه، وأيس من حالهم لما رأى إمداد الملائكة للمسلمين، وأظهر أنه يخاف اللّه، واللّه شديد العقاب في الدنيا والآخرة. وكان خوفه من الملائكة حتى لا تحرق جنوده"[2].

فعند تصور هذا المشهد مشهد الشيطان وهو يرجع على عقبيه ،تظهر لنا الصورة الحركية الرائعة وهي توحي لنا بضعف هذا المخلوق عند مواجهة الحق ، وتراجعه على عقبيه دليل على شدة خوفه ، فهو مشهد تصويري رائع جاء ليعبر عن حال الشيطان ، الذي أعطى أتباعه المواثيق والعهود على أن ينصرهم ، فلما رأى الملائكة ، رجع واعترف بالخوف من الله ، وتبرأ من اتباعه . فالصورة الحركية تتجلى بشكل واضح عند الشيطان ،

---

(1) انظر: المعجم الوسيط ، مصطفى، إبراهيم وآخرون ، ج٢ ، ص٩٥٢، باب (نكص).

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الزحيلي، وهبة بن مصطفى ، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ ، ج١٠، ص ٣٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

حال رجوعه خائفا . فهذه الصورة الموحية التي تكشف الحقيقة الأزلية ، التي بينها لنا الله سبحانه للشيطان ، وهي الموالاة الزائفة من الشيطان للإنسان ، والتخلي الحقيقي منه ، والسعي المتواصل من الشيطان لإغواء الإنسان ثم تركه في مهاوي المعصية والضلال . وهي حقيقة قد أعميت قلوب كثير من الناس ممن غرتهم تزيينات الشيطان لأعمالهم السيئة وآثامهم . لكنهم لو تدبروا كلام الله ، لأشرقت قلوبهم بهذه الحقيقة ، ولما اتبعوا – على إيمان منهم – خطوات الشيطان ، ومكائده .

" وفي هذه الفقرات القليلة تحتشد معان وإيحاءات ، وقواعد وتوجيهات ، وصور ومشاهد ؛ تشخص مواقف من المعركة كأنها حية واقعة ، وتتكشف خواطر ومشاعر وضمائر وسرائر . . مما يحتاج تصويره إلى أضعاف هذه المساحة من التعبير ؛ ثم لا يبلغ ذلك شيئاً من هذا التصوير المدهش الفريد! " (١).

ومن الأمثلة على الصورة الحركية قوله تعالى :﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ {الأنعام-٧١} .

"إنه مشهد حي شاخص متحرك للضلالة والحيرة التي تنتاب من يشرك بعد التوحيد ، ومن يتوزع قلبه بين الإله الواحد ، والآلهة المتعددة من العبيد! ويتفرق إحساسه بين الهدى والضلال ، فيذهب في التيه ، إنه مشهد ذلك المخلوق التعيس: ﴿ الذي استهوته الشياطين في الأرض ﴾ – ولفظ الاستهواء لفظ مصور بذاته لمدلوله – ويا ليته يتبع هذا الاستهواء في اتجاهه ،

(١) في ظلال القرآن ، قطب،سيد ، ج٣، ص١٥٢٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيكون له اتجاه صاحب القصد الموحد - ولو في طريق الضلال! - ولكن هناك ، من الجانب الآخر ، أصحاب له مهتدون ، يدعونه إلى الهدى ، وينادونه ﴿ ائتنا ﴾ - وهو بين هذا الاستهواء وهذا الدعاء ﴿ حيران ﴾ لا يدري أين يتجه ، ولا أي الفريقين يجيب"[1].

فالشياطين هي التي تحركه وتلعب به ، فكانت هذه الصورة غاية في الجمال عندما صورت هذا المشهد الحركي لمن تستهويه الشياطين .

ومن الصور الحركية للشيطان ماجاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [البقرة٣٦] .فلفظة :﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ توحي لنا بأن آدم وحواء كانا ثابتين ، فجاء الشيطان وزحزحهما حتى أخرجهما من الجنة . فهو " لفظ يرسم صورة الحركة التي يعبر عنها . وإنك لتكاد تلمح الشيطان وهو يزحزحهما عن الجنة ، ويدفع بأقدامهما فتزل وتهوي! "[2] . ولو رجعنا إلى الحروف التي تكونت منها اللفظة لوجدنا أن هذه الحروف توحي بالحركة وبذل الجهد ؛ " ولا سيما حرف الزاي منه بما فيه من الجهر والصفير ، اللذين ينسل بهما انسلالا ، فضلا عن جهر اللام المشددة التي توحي بالجهد المبذول بالزحزحة والدفع . ويوحي هذا اللفظ من جهة أخرى بحالة إنسان ثابت القدم على الشيء زل عنه ، وتحول عن موضعه " [3].

---

(١)المرجع السابق .ج٣،ص٨١.

(٢) المرجع السابق ج١، ص٥٨.

(٣) البنى والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية ، يحيى ، عماد عبد ، دار دجلة ناشرون وموزعون ، عمان ـ الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ص٢٥٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويتبين لنا من عرض هذه الأمثلة التي مرَّ ذكرها ، وغيرها من الآيات ، أن القرآن كان غنيا بالصور الحركية الحسية أو التخييلية ، التي تؤثر في نفس القارئ أو المستمع تأثيراً عجيباً. وتتغلغل فيه وتحيي جانب الضمير والوجدان ، فكل صورة من صور القرآن الكريم تشد القارئ أو المستمع وتلفت انتباهه ، وتحيي لديه الحس والعقل والتفكير.

أما عن الصور الساكنة للشيطان في القرآن جاءت قليلة ، وذلك لأن القرآن جاء حافلا بالصور الحركية والمشاهد الحية التي تثير النفوس وتحيي القلوب يقول سيد قطب : " التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن "[1]. فكثير من صور القرآن ما يأتي متحركا ؛ وذلك ليعرض غرضا من أغراضه ، فهو يعبر بالصورة عن مشهد من مشاهده ، لينقل المتلقي إلى الواقع ، وقد تحدثنا فيما سبق عن الصورة الحركية في القرآن ، وذكرنا بعض الأمثلة من الآيات التي تظهر فيها الحركة ، فالتعبير القرآني " ينبض بالحياة والحركة ، فما أن يمس الساكن أو ما شأنه السكون حتى تدب فيه الحياة ، فينتفض حيا متحركا ، وتخيل هذا الشيء الساكن في الطبيعة حيا متحركا ؛ عن طريق الحس والخيال يملأ النفس شعورا بالجمال "[2] . وأما عن الصور الصامتة والساكنة فقليلة في القرآن الكريم[3] . وأما عن الصورة الساكنة التي تتعلق بالشيطان ، فليس له صورة ساكنة ، فالشيطان مخلوق من نار ، وقد نص القرآن الكريم على ذلك قال تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (ص-٧٦) ، ولما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله -ﷺ- : " خلقة الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم "[4] ، فأصل

---

(١) التصوير الفني في القرآن ، قطب ،سيد ، ص٣٢.
(٢) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، الخالدي ، صلاح الدين ، ص١٤٥.
(٣) انظر : التصوير الفني في القرآن ، قطب ،سيد ، ص٦١.
(٤) صحيح مسلم ، مسلم ، مسلم بن الحجاج ، ج٤ ، كتاب الزهد والرقائق باب في أحاديث متفرقة ، ص٢٢٩٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خلقت الشيطان تدل على كثرة الحركة ، فكل مشتقات هذه اللفظة يدل على الحركة ، فكلمة شاط تطلق على الشيء إذا احترق وشاط ، وشطن تطلق البعد ، وتطلق العرب لفظة الشيطان على كل عات متمرد مفسد كثير الشر ، فلا يمكن للشيطان أن يسكن ؛ لأن ذلك يخالف ما طلبه من الله ، فقد طلب الشيطان من الله أن ينظره إلى يوم البعث ، وذلك حتى يضل بني آدم ، فقد توعد بذلك ، كما في سورة الأعراف ، عندما ذكر الله قصة بداية الخلق ، وأمْرُه للملائكة بالسجود لآدم ، فسجدوا إلا إبليس ، وبعد ذلك جرى الحوار بين الله – جل في علاه – وبين إبليس ، وقصة خروج آدم وحواء من الجنة في قوله تعالىَ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴿الأعراف﴾ تظهر صورة الشيطان في الآيات السابقة معاندًا ، متكبرًا ، عصى الله ، ولم ينفذ ما أمره الله به ، بل أساء أدبه مع الله ، و طلبه أن ينظره إلى يوم البعث ، وتوعده بإغواء بني آدم إلا المخلصين فلن يستطيع إضلالهم ، ولم يكتف بذلك القول ؛ بل يؤكد بأنه سوف يقعد على طريق الحق ؛ ليضلهم عنه، ويحدد من أين يأتيهم وكيف ، فدخل بين آدم وزوجته فوسوس لهما ، وبدأ يقسم لهما بأنه ناصح لهم ، حتى زين لهما الأكل من الشجرة ، فكل فعل من أفعاله يقتضي الحركة ، ولا يمكن القول بأن الشيطان يستريح أو يهدأ ولا يتحرك ؛ لأن توقفَ الشيطان عن الشر معناه أن الناس سيهتدون إلى طريق الحق بفطرتهم، ويعبدون الله

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وحده لا شريك له ، وهذا الشيء الذي يخافه الشيطان ، فأخذ يوسوس ، ويزين المعصية ، وينزغ بين الإخوان ، ويهمز وينفث ، ويفرق بين الأزواج.

وفي قوله تعالى : ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ ﴿الناس-٤﴾ نجد أن كلمة الوسواس تدل على كثرة الوسوسة وتكرارها ، فهي على وزن " فعلال " من صيغ المبالغة ، وكذلك كلمة الخناس جاءت مضعفة على وزن " فعَّال " لتدل على كثرة فعل الخنوس ، فالشيطان عندما يخنس لا يسكن ، بل يوسوس مرة ويتأخر " ويختفي ويعود لينفرد بك حين يراك متنعزلاً عن ربك ، و حين تكون مع ربك فهو لا يقدر عليك ، بل يتوارى ويمتنع عن الوسوسة إذا استعذت منه بالله. " [1] فهو لا يغيب ، ولكنه يخنس عند ذكر الله .

من الآيات السابقة يتبين لنا أن الشيطان لا يمكن أن يهدأ أو يسكن ؛ لأنه أقسم بعزة الله أن يغوي الناس أجمعين ، إلا المخلصين ، فكل ما ورد من أفعاله وصفاته تدل على كثرة الحركة التي تناسب عمله في هذه الدنيا : من إضلال الناس وإبعادهم عن طريق الهدى ، فالشيطان لا يهدأ ولا يبتعد عن الإنسان ويتبرأ منه ، إلا في حالة واحدة وهي بعد أن يوقعه في الكفر ؛ كما في قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿الحشر-١٦ ﴾ فالشيطان يجتهد في أن يوقع الإنسان في الكفر ، فيزين له المعصية ويستدرجه ، ويمنيه ، حتى إذا كفر قال له : إني بريءٌ منك ، في هذه الحالة يبتعد الشيطان عنه ويدعه لأنه ليس بحاجة إليه فقد أضله عن طريق الهدى ، فالصور الساكنة للشيطان لا تناسب وظيفته، فما أن يذكر الشيطان في القرآن الكريم إلا ويرد التحذير منه ، ومن أفعاله

---

[1] تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، محمد متولي ، سورة الناس آية ٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الشريرة ، أو يرد وصف له بأنه عدو مفسد ، أو تشبيه تشمئز منه النفوس وتنفر ، لذلك لا يمكن أن يكون لهذا المخلوق الشرير صورة ساكنة ، فهو يعمل ليل نهار ابتلاء للمؤمنين ، وزيادة في طغيان للكافرين ، فمن أطاع الشيطان وسار على نهجه خاب وخسر، و دخل معه النار ، ومن خالف أمره ، وجاهد نفسه في طاعة الله والبعد عن معاصيه ربح وأفلح ودخل الجنة مع الأنبياء والصديقين و الشهداء .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٢- الصورة النفسية :

إن الخيال عنصر ذو أهمية بالغة من عناصر الصورة ، فمن خلال الصورة تتبين قوة التأثير على النفوس، كما أن الألفاظ ودلالاتها لها تأثير على نفسية المتلقي ، لذلك نجد الشعراء يحرصون على اختيار الصور والألفاظ ذات الدلالات المعبرة والمقنعة " التي تبرز الحقائق في صورة أجمل من صورتها الأولى "[١] . فلا عجب أن يكون القرآن قد أبهر العلماء في إعجازه وتصويره للحقائق ، ودقته في التعبير وحسن في الأداء ، وتأثيره في العقول ، فجاءت ألفاظ القرآن تخاطب العقل والقلب معا ، " فلا هي بالألفاظ والعبارات الرتيبة التي يضيق بها سامعها أو قارئها ، ولا هي بالمعاني المجردة الغامضة ، التي تثير اللبس والإبهام ، وإنما هي الصورة الأدبية الرائعة التي جمعت في إطارها رونق اللفظ ورشيق المعنى وجمال الاتساق ، حتى كانت تلك الصورة الحية النابضة ، التي يتملاها الخيال ، فلا يكاد ينتهي عنها إلا وقد انطبعت في النفس ، وأثرت في الحس ، وأقنعت العقل ، والوجدان "[٢].

إن من سمات التعبير القرآني تصويرَ المعاني الذهنية والحالات النفسية ، وإبرازها في صورة حسية ؛ فالحالات النفسية المصورة " هي الأفق الثاني من آفاق التصوير الفني في القرآن ، وكما كان للمعاني الذهنية المصورة فضل على المعاني الذهنية المجردة ، كذلك للحالات النفسية المصورة هذا الفضل على الحالات النفسية المجردة ، ولها هذه القيمة ، يبين هذه القيمة أن نتصور الحالات النفسية على صورتها الذهنية التجريدية ، ثم نتصورها على صورتها التصويرية التخييلية "[٣] .

---

(١) الصورة النفسية في القرآن الكريم ، هياجنة ، محمود سليم محمد ، عالم الكتب الحديثة ، عمان – الأردن ، ط١ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م ، ص١١.

(٢) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، عبد التواب ، صلاح الدين ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٩٥ ، ص٤.

(٣) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، الخالدي ، صلاح عبد الفتاح ، ص٢٠٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن المشاهد النفسية التي تطالعنا تشبيه طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين ، في قوله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ﴿الصافات-٦٥﴾ . ففي هذا الوصف تصوير للشيطان بأبشع الصور ، حتى إن النفوس لتشمئز من هذه الصور ، فالله سبحانه وتعالى – أراد بهذا التشبيه إظهار بشاعة الشجرة التي يأكل منها الكافرون يوم القيامة ، وذلك من خلال تشبيهها برؤوس الشياطين ، فهذا التشبيه يعكس لدى السامع صورة نفسية توحي له بأن صورة الشيطان قبيحة ، وأنه لا يوجد شيء أقبح من صورة الشيطان ، يقول الشعراوي في تفسيره : " هب أن إنساناً أقام مسابقة بين رسامي " الكاريكاتير " في العالم ليرسم كل منهم صورة للشيطان ، ويوم تحديد الفائز ستوجد أكثر من صورة للشيطان ، وستفوز أكثر الصور بشاعة ، ذلك أن الفوز هنا ليس في الجمال ، ولكن الفوز هنا في مهارة تصوير القبح . وهكذا تتعدد أمامنا صور القبح ، فما بالنا بالحق سبحانه وتعالى وقد أراد إطلاق الخيال لتصوير شجرة الزقوم ، وكذلك تصوير رأس الشيطان ؟ أراد الحق بهذا الأسلوب البليغ إشاعة الفائدة من إظهار بشاعة صورة الشجرة ، التي يأكل منها أهل الكفر " (١).

فما من فعل قبيح إلا وقد اقترن به الشيطان ، فهو العدو الذي يترصد بالإنسان ؛ ليضله ، فلا يترك فرصة إلا وقد استغلها ، فهو يجري من الإنسان في مجرى الدم ، ويأتيه في صلاته ، وفي نومه ليريه أحلاما مزعجة ، ويشارك الناس مأكلهم ومشربهم ، حتى في مبيتهم ، فلا يستغرب منه أن يشاركهم في أنفاسهم ، فكل إنسان يشعر بحب الخير وفعله ، لا بد أن يأتيه الشيطان بصفة الناصح الأمين ، يوسوس له بخلاف الخير حتى يضله فكل ما يصيب الإنسان من خوف وهلع ووساوس وتفكير ، إنما ذلك كله من الشيطان .

---

(١) تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، محمد متولي ، ج٢ ، ص١١٨٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ونجد اغترار الشيطان بنفسه ، عندما أمر الله الملائكة بالسجود فسجدوا إلا إبليس أبى السجود واغترار الشيطان بنفسه وفضل عنصره الناري على الطين ، قال تعالى : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴿١١﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾[الأعراف-١١- ١٣]. " فهو الإصرار المطلق على الشر والتصميم المطلق على الغواية . وبذلك تكشف هذه الطبيعة عن خصائصها الأولى، شر ليس عارضاً ولا وقتياً، إنما هو الشر الأصيل العامد القاصد العنيد ، ثم هو التصوير المشخص للمعاني العقلية والحركات النفسية ، في مشاهد شاخصة حية . لقد سأل إبليس ربه أن ينظره إلى يوم البعث ، وهو يعلم أن هذا الذي يطلبه لا يقع إلاّ بإرادة الله وقدره ، ولقد أجابه الله إلى طلبه في الإمهال ، ولكن إلى يوم الوقت المعلوم ، كما جاء في الآيات السابقة . وقد وردت الروايات أنه يوم النفخة الأولى ، التي يصعق فيها من في السماوات والأرض ، إلا من شاء الله لا يوم يبعثون . وهنا يعلن إبليس في تبجح خبيث ، وقد حصل على قضاء بالبقاء الطويل ، أنه سيرد على تقدير الله له بالغواية " [1] . نجد في هذا التصوير لحالة الغرور والكبر عند الشيطان عندما يأبى تنفيذ ما أمره الله به من السجود لآدم ، ولا يكتفي بذلك بل يرد على الله بكبره وغطرسته ، ونفسية شريرة أضمرها لآدم وبنيه ، ومع هذا كله يطلب من الله الإنظار إلى يوم البعث ، ويستمر في تبجحه وغروره النفسي ويتوعد بإضلال البشر ، وكأنه يقول : سأعمل جاهدا بكل ما أحمل من قوة ، ولن أترك طريقة تضل البشر إلا وسلكتها في سبيل ذلك . فهو مبلغه فليستعذ بشتى الطرق يحاول إضلال بني آدم ، من خلال تزيين الشبهات ، والشهوات ، والمعاصي . فقد أمرنا الله بالاستعاذة من الشيطان عند الإحساس بنزغه

---

[1] في ظلال القرآن ، قطب ، سيد ، ج٣ ، ص ١٩٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ووساوسه ؛ قال تعالى في الاستعاذة منه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف٢٠٠]

ومن الصور النفسية ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ {البقرة٣٤} . فما حصل من إبليس من الإباء والاستكبار عن السجود لآدم ، والإحساس بالفخر والغرور والزهو بعنصره الناري ، فهذا من الصور النفسية عند الشيطان ، فهو لم يمتنع عن السجود فحسب ، بل استكبر وعصى وفضل نفسه على آدم ، وكفر بالله ، كما أن " الكبر من الانفعالات النفسية وهو : إدراك الإنسان خواطر تشعره بأنه أعظم من غيره فلا يرضى بمساواته بل متابعته " [1] . و كثير من الصور النفسية التي تصيب الإنسان من فعل الشيطان ، ومن ذلك النسيان فهو " علة نفسية تبعد الإنسان في كثير من الأمور عن حالة الصواب ، علاجها الاستعاذة بالله – العلي العظيم – من مسببها الشيطان الرجيم ، ومحاولة اجتناب السهو أثناء أداء الشعائر والعبادة "[2] قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام٦٨] . ومن الحالات النفسية التي صورها التعبير القرآني بالتشبيه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ {الأنعام-٧١}.عندما نقرأ هذه الآية نحزن على حال هذا الذي أصبح حيرانا بسب استهواء الشياطين له ، " فوقف حائرا ؛

---

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ابن عاشور، ج١ ، ص٣٧٦٧.
(٢) القرآن والشيطان ، فارس ، محمد ثابت ، دار الفكر العربي ، القاهرة – مصر ، ١٩٧٩، ص٩٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لأن له إخواناً يدعونه إلى الهدى ، وينادونه في الجانب الآخر (ائتنا) ، وهو بين الاستهواء والدعاء حيران موزع القلب ، قائم يلتفت لا يدري من يجيب " [1] . " فالحيرة ، علة نفسية ، يحركها أساس ارتداد عن مواقف سابقة في اتجاه مغاير ؛ مما يحدث حالة من حالات الإرباك النفسي يثيرها هذا التأرجح . والوسوسة علة نفسية يسببها الشيطان في النفس ، أو تستشري لتصبح طابعاً لأنماط معينة في الأداء السلوكي لبعض الناس وقد أوضحه النظم الكريم في هذا الجزء في الآية الكريمة : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الاعراف٢٠] . أي أسر لهم حديثا خفياً مهموساً غير مسموع ، وهي مكونات عملية الحوار " والغرور : نداء شيطاني خفي يتصل بالنفس الإنسانية أشبه بالصوت الخفيض غير المسموع يترك في النفس ظنونا معينة ، أو عادات معينة ، في شتى مناحي الحياة ، وعن مختلف أنماط البشر التي يتعامل معها الإنسان " [2] . والآيات التي تدل على وساوس الشيطان ونزغاته للإنسان كثيرة.

ومن الصور النفسية قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾﴿البقرة-٢٥٧﴾ . ففي هذه الآية تصوير حال المؤمنين وحال الكافرين ، فالله هو ولي الذين آمنوا يخرجهم من ظلمات الكفر والجهل ، إلى نور الإسلام ، أما الطاغوت فهو ولي الكافرين يخرجهم من نور الإسلام إلى ظلمة الكفر ، والطاغوت كلمة تطلق على كل طاغٍ بالغ في الطغيان ، والشيطان هو أبو الطواغيت ؛ " فالشيطان ، والدجال ، والكاهن ، والساحر ، والحاكم بغير أمر الله ؛ كلهم

---

[1] نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، الخالدي، صلاح عبد الفتاح ، ص١٣٣.
[2] القرآن والشيطان ، فارس ، محمد ثابت، ص١١٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

طاغوت ، ولقد التزمت الآية بالإفراد والتذكير . فالطاغوت تُطلق على الواحد أو الاثنين أو الجماعة ، أي أن المُخرجين من النور إلى الظلمات هم أولياء الطاغوت ، أو من اتخذوا الطواغيت أولياء ، وهم في النار خالدون . والدخول في النار يكون للطواغيت، ويكون لأتباع الطواغيت ، كما يقول الحق في كتابه : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[الأنبياء:٩٨]"[1]. فمن كان وليه الطاغوت فقد تاهت نفسه واتبعت الظلمات . ولم يقل الظلمة ، بل جمع كل طريق يؤدي إلى الظلمة والكفر وسماها ظلمات ، كما أن لفظة النور جاءت مفردة ؛ لتدل على أن طريق الحق واحد . وفي المقابل نلحظ أن لفظ الجلالة الله جاءت معها ألفاظ تدل على الإفراد مثل كلمة " ولي " ، واستخدم معها الفعل يخرجهم ،أما لفظة الطاغوت فقد استخدم معها ألفاظا تدل على الجمع ؛ مثل كلمة " أولياء " ، واستخدم الفعل " يخرجونهم " فقد أتى بضمير الجمع ؛ لأن المراد الطاغوت اسم جنس ، فيعم جميع أنواعه ، وهذا يدل على النفس التائهة في تتبع الأهواء . يقول محمود هياجنة : " وما أعظم دقة التعبير! ففي جانب الطاغوت استعمل كلمة الظلمات بصيغة الجمع ، وفي مقابل الهدى استعمل كلمة النور بصيغة المفرد ، وهذه إشارة واضحة الدلالة على نفس تائهة حائرة ، تشعبت بها الأهواء ، وتخبطت في مزالق الكفر تخبط عشواء، فلا تهتدي إلى مقصد، ولا تكاد تبين من أمرها شيئا " [2] . فهذا المشهد يصور حال المؤمنين الذين آمنوا بالله ، وكفروا بالطاغوت ؛ بأن الله يخرجهم من الظلمات التي يعيشها الكفار ؛ من ضيق ،عيش وضنك، وحالات نفسية تسبب الانتحار ، إلى النور والهدى وهو طريق الحق الذي يجد فيه الإنسان المؤمن الراحة النفسية والطمأنينة . وقد شبه الله المعرضين عن ذكره بحال من يصعد إلى

---

(1) تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، محمد متولي ، ج١، ص١١٢٠-١١٢١.

(2) الصورة النفسية في القرآن الكريم ، هياجنة ، محمود سليم، ص٧٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

السماء ، وكما هو معلوم أن الإنسان كلما ارتفع قل الأكسجين وضاق صدره ، فجاء هذا المشهد مشابها لحال الكفار الذين اتبعوا الطواغيت ، وعلى رأسهم الشيطان مما سبب لهم هذه الظلمة ، وهذه الحالات النفسية التي يعيشونها .

ومن الأمثلة على الصور النفسية قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿إبراهيم-٢٢﴾ . إن في هذه الآية الكريمة إخبارًا من الله – تعالى – عن حال الشيطان بعدما قضى الله بين عباده ، فقد وقف الشيطان خطيبا في أتباعه ، يتبرأ منهم ، ويضع اللوم عليهم . في هذا التصوير الرائع نجد أن الشيطان يزيد أتباعه هما وحزنا وحسرة على حسرتهم؛ يقول الشعراوي في ذلك : " هذا حوار يدور يوم القيامة بعد أن انتهتْ المسألة وتكشفتْ الحقيقة ، وجاء وقت المصارحة والمواجهة . يقول الشيطان لأوليائه مُتنصلاً من المسئولية : ما كان عندي من سلطان عليكم ، لا سلطان حجة تقنعكم أنْ تفعلوا عن رضاً ، ولا سلطان قَهْر أجبركم به أن تفعلوا وأنتم كارهون ، أنا فقط أشرتُ، ووسوستُ، فأتيتموني طائعين. ﴿ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾[إبراهيم: ٢٢]. أي : نحن في الخيبة سواء ، فلا أستطيع نجدتكم ، ولا تستطيعون نجدتي ؛ لأن الصُّراخ صُرَاخي " . شخص وقع في ضائقة أو شدة لا يستطيع الخلاص منها بنفسه ، فيصرخ بصوت عالٍ ؛ لعله يجد مَنْ يُغيثه ويُخلِّصه ، فإذا ما استجاب له القوم فقد أصرخوه . أي : أزالوا سبب صُرَاخه . إذن : فالمعنى : لا أنا أستطيع إزالة سبب صراخكم ، ولا أنتم

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تستطيعون إزالة سبب صُرَاخي " [1] . في هذا المشهد يظهر الخوف والحزن والحسرة والندامة في نفوس أتباع الشيطان ، الذي كان يعدهم في الدنيا ويمنيهم ، ويغريهم بملذاتها ، ويخذلهم كما أخبر الله- سبحانه وتعالى- في قوله : ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ (الفرقان-٢٩) .

ومن الصور النفسية للشيطان في القرآن الكريم ما جاء في سورة الناس في قوله تعالى : ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ (الناس-٤)، فالوسواس هو الشيطان الموكل بالإنسان يوسوس له في نفسه ، ففي هذا التصوير الرائع لأعظم صفاته " وأشدها شرا ، وأقواها تأثيرا ، وأعمها فسادا ، وهي الوسوسة التي هي مبادئ الإرادة . فإن القلب يكون فارغا من الشر والمعصية، فيوسوس إليه، ويخطر الذنب بباله ، فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه ، ويزينها له ، ويحسنها ويخيلها له في خيال تميل نفسه إليه ، فيصير إرادة ثم لا يزال يمثل ، ويخيل ، ويمني ويشهي ، وينسى علمه بضررها ويطوي عنه سوء عاقبتها ،فيحول بينه وبين مطالعته ،فلا يرى إلا صورة المعصية " [2] .

ومن الصور النفسية للشيطان في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال٤٨] وفي قوله تعالى : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ ﴿الحشر-١٦﴾ .

---

(1) تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، محمد متولي ، ج١٣،ص٨٣٠٤.

(2) التفسير القيم ، ابن القيم ، شمس الدين أبو عبدالله ، دار ابن الجوزية ، الدمام ، ١٩٩٣ ، ج٢ ، ص٣٢٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

في الآية الأولى تصوير رائع لحالة الشيطان النفسية عندما رأى الملائكة ، فقد امتلأ قلبه بالخوف والفزع ، حتى إنه لم يستطع أن يتجه إلى الأمام ويهرب ، وإنما رجع على عقبيه ، فجاء هذا التصوير دقيقا في وصف حالة الشيطان المليئة بالذعر والخوف الشديد مما جعله يرجع على عقبيه.

وفي الآية الثانية تتراءى لنا صورة الشيطان الشخصية الماكرة ،والمراوغة على حقيقتها ، وتنكشف أمام الإنسان بعدما أضله ، وأوقعه في الكفر وتبرأ منه ، ورجع إلى الله ،واعترف بالخوف من الله ، والخوف صورة من الصور النفسية التي تكررت في القرآن." والتعبير القرآني يرسم هذه الصورة في لمسات فنية مبدعة لا سبيل إلى استبدالها أو ترجمتها في غير سياقها المعجز،...،وصورة الشيطان هنا ودوره مع من يستجيب له من بني الإنسان ، تتفقان مع طبيعته ومهمته . فأعجب العجب أن يستمع إليه الإنسان . وحاله هو هذا الحال! " (١)

ومن الصور النفسية للشيطان قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ {المائدة:٩١}

فالإرادة تعني الطلب والاختيار ، كما أنها عمل نفسي ، فالصورة النفسية للشيطان تتمثل في تمني الشيطان ، ومراودته ومخادعته ،وذلك من خلال تزيين الأفعال السيئة للإنسان، وتأتي الإرادة بمعنى المحبة ،فالشيطان عندما يريد فهو يحب ، والمحبة عامل نفسي يحدث للإنسان، ولكن محبة الشيطان متمثلة في حب الشر وعمله.

(١) في ظلال القرآن ، قطب ، سيد ، ج٦، ص٣٥٣٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهكذا فإن الصورة النفسية في القرآن الكريم قد سبرت أغوار النفوس ؛ لتكشف بذلك عن حقيقتها ، وتجسمها للعيان مخاطبة بذلك الإنسان ، فقد " شكلت في النهاية بناء محكما ، ونسيجا موحدا ، وتصميما مميزا ضمن الأسلوب القرآني ، ولكنها ليست معزولة عن أنساق الصور الأخرى ، بل هي متفاعلة معها ، ومترابطة بها ، ضمن نظام العلاقات التصويرية والتعبيرية والفكرية ، الذي هو القاعدة التي يقوم عليها الأسلوب القرآني "[1].

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

[1] الصورة الفنية في القرآن الكريم ، الراغب ، عبد السلام أحمد ، ص٣٧٢.

الفصل الثاني

أولاً: وسائل تصوير الشيطان في القرآن الكريم:

❖ أساليب بناء صورة الشيطان في القرآن الكريم:

١- أسلوب السرد

٢- أسلوب الحوار ويشمل: (الحوار بين الله والشيطان، وبين الشيطان والإنسان)

ثانياً: الأساليب البلاغية في تصوير الشيطان، وتنقسم إلى:

أ- التشبيه

ب- الاستعارة

ج- الكناية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أساليب بناء الصورة

إن القرآن الكريم مليء بالأسرار المكتنزة في آياته، وقد انبهر العلماء لنظمه، فلا غرو في ذلك، فهو كلام ربنا – جل في علاه–، معجز في كل حرف من حروفه، فهو مأدبة الله كما جاء في الحديث: " عن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول الم حرف؛ ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف "[1].

فالقرآن الكريم أعجز العلماء في علمهم، وأعجز البلغاء في بلاغتهم، وأعجز الأطباء في طبهم، فهو معجز في كل شيء. ومن إعجاز القرآن ما نجده في التنويع في صور الشيطان في الآيات، فمرةً يستخدم لفظة الشيطان ومرةً يستخدم لفظة الطاغوت، ومرةً يستخدم لفظة الغَرور، وغيرها من الألفاظ. فكل هذا لم يأت إلا لِحِكَمٍ عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها، فنجد السمو في جمال اللفظة، ودقة الصياغة، وروعة التعبير، والإيجاز في محل الإيجاز، والتفصيل في محل التفصيل .

---

[1] المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبدالله ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١١هـ -١٩٩٠م ، ج١، كتاب فضائل القرآن أخبار في فضائل القرآن ، ص٧٤١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وسنقوم – بإذن الله – بدراسة أساليب بناء الصورة في الآيات التي ورد الشيطان فيها، من خلال أسلوبي السرد والحوار، ومن حيث الأساليب البلاغية (التشبيه - الاستعارة - الكناية)؛ وذلك من أجل الوقوف على تجلياتها، وإظهار قدرتها على زيادة تعبير الصورة، بكل ما تحتمله من دلالة وإيحاء.

أولاً : أسلوب السرد:

حريٌّ بنا ، قبل أن نسبر غمارَ هذا الفصلِ، أن نبتدئه بالتعريف اللغوي بالسرد؛ حتى يتجلى لنا كنه هذا المصطلح، وكيف لنا أن نميزّه. أما تعريف السرد لغة: " [سرد] س، ر، د: درع مَسْرُودَةٌ ومُسَرَّدةٌ، بالتشديد، فقيل: سردها نسجها، وهو تداخل الحلق بعضها في بعض. وقيل السَّرْدُ الثقب، والمَسْرُودَةُ المثقوبة. وفلان يَسْرُد الحديث: إذا كان جيد السياق له. وسَرَدَ الصوم: تابعه ،وقولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سَرْدٌ؛ أي متتابعة، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وواحد فرد وهو رجب. وسَرْدُ الدرع، والحديث ،والصوم ،كله من باب نصر "[1]. " سرد: سرَدَ القراءة والحديث يَسرُدُه سَرْداً؛ أي يُتابِعُ بعضه بعضا "[2].

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم، في الوصف، يجد أن من أفضل الأساليب لذلك هو الأسلوب السردي؛ وذلك لما فيه من الوصف الدقيق، والعرض للمشاهد والحوادث، وشد انتباه السامع لها. فقد تنوعت أساليب السرد في القرآن الكريم، فمرة يوجز ومرة يفصّل ، ومن ذلك

---

(1) مختار الصحاح ، الرازي ، محمد بن أبي بكر عبد القادر ، ص٢٥٨.

(2) معجم العين ، الفراهيدي ، الخليل بن أحمد، ج ٧ ، ص٢٢٦ ، مادة (س ر د).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ما جاء في وصف أهل الجنة في سورة الواقعة، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ [الواقعة- ١٠-١٤] ففي هذه الآيات جاء الإجمال بذكر لهؤلاء السابقين، ثم بعد ذلك يأتي التفصيل في أحوالهم في بقية السورة، وغيرها كثير في القرآن الكريم، والذي يهمنا هو ما يخص صورة الشيطان.

وأبرزُ وظيفة للسردِ، حين نتتبع صورة الشيطان في القرآن الكريم، هي الوصف؛ إذ تكثر الآياتُ التي تصفُ الشيطانَ، أو أفعالَه، وما يقومُ به، وكذلك في التحذير منه، ومن اتباعه. وفي هذا الصدد، سنوردُ بعض الآياتِ التي تناولت هذه الأمور، مستخدمةً أسلوب السرد، تقنية من تقنيات رسم صورة الشيطان ووصفه.

ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ {المائدة٩١}.

في هذا البيان الذي تتجلى روعته وجماليته وعمق معانيه ، لقد كان سردُ الآية لأكثرَ من فعل للشيطان مع الإنسان ذا عمق واضح ، فالشيطان يوقع بين الناس العداوة والبغضاء بسبب الخمر والميسر ، بل إنه بسبب هذا الفعل السابق (يوقع بينكم) يصد عن ذكر الله، وعن الصلاة ،وهما أكثر ما يقرب العبد من الله . فالشيطان يبتعد بمن كان وليا له من ذوي النفوس الضعيفة المنقادة إلى الضلال عن الله ، ويسعى إلى بث العداوة والبغضاء ، والغواية والضلال . والاستفهام هنا استفهامٌ يفيد الأمر ، وقد جاء بعد أن أوردَ الله لنا فعلين خبيثين للشيطان ، فهل للمدرك العاقل أن ينتهي عن اتباع هواه والشيطان ، ويدرك حقيقة الأمر .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن الآيات التي اعتمدت السرد في تصوير الشيطان قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ {النساء٦٠}.

الإرادة تكون عادة لمن كان مصمما بكل ما أوتي من عقل وإدراك على عمل أمرٍ ما مع الرغبة الداخلية في عمله ، إلا إن اقترنت بقرينة تفصحُ أو توحي بأنها إرادة قسرية كـــ: أراد مجبرا . وفي هذه الآية الكريمة ، نرى الشيطان يقبل بكل ما أوتي من عزيمة موجهة بالضلال والغواية إلى الإنسان ضعيف الإرادة ، والهدف أن يبتعدَ بالإنسان أكبر مسافة عقدية عن الله وعن دينه . ويهوي به في ضلال بعيد عن الله . والشيطان ، بذلك ، وضع نصب عينيه أن يُبقي الإنسان في تيه وضياع ، إيفاءً لوعده ، واستمرارا بما عزم عليه منذ أول الخلق حتى نهايته . والسردُ الوصفي ، الذي كانت فائدته بإيجازه واقتصاره على كلماتٍ موجزة ؛لإيصال معان جمة وكبيرة لكل مدرك متأمل ، فالإعجاز يكمن بالإيجاز ، والعبارة تحمل في مكنونها معاني كثيرة تغني عن الكلام الكثير .

ومن الآيات السردية في صورة الشيطان قوله تعالى :

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ {النساء ١٢٠}.

هذا هو ديدن الشيطان : الوعد الكاذب ، والإغراء الزائف ، والإغواء المستمر للإنسان ، إنه وعد لا طائل تحته، ولا فائدة ترجى منه . إن الله يحذرنا من الشيطان ، فهل يدرك العقلاء هذا التحذير والإنذار ، أم أن الطبيعة البشرية جُبلت على قبول الإغراءات ، والوعود ، والتزيين ، مهما كان ؟ . إن طبيعة الإنسان هذه ، والتي جبله الله عليها ، هي لحكمة أرادها هو ، وإلا ، فكيف تظهر قوة الإيمان عند امرئ دون آخر ، وكيف ينجح

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالابتلاء امرؤ دون غيره إلا بأن يختبره بالشيطان وإغواءاته ، وتزيينه ؛ حتى يصطفي الله من عباده من نجح وأفلح في هذا الامتحان ، فما الشيطان ، من ذلك كله ، سوى امتحان نخوضه ، إما أن نجتازه إلى الجنة ، وإما أن يهوي بنا في نار الجحيم . وأسلوب السرد ذو دلالة واضحة في وصفه لهذا المشهد الذي يصف الشيطان وعمله مع الإنسان .

ومن الآيات التي تعتمد على السرد في تصوير الشيطان في القرآن الكريم قوله تعالى :

١. ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ {البقرة٣٦}.

٢. ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف٢٧].

٣. ﴿ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً ﴾ {النساء١١٩}.

٤. ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ {النساء٧٦}.

٥. ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاء قَرِيناً ﴾ {النساء٣٨}.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٦. ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ {آل عمران ١٧٥}.

٧. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ {آل عمران ١٥٥}.

٨. ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة ٢٦٨}.

٩. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ {البقرة ١٦٨}.

١٠. ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿إبراهيم ٢٢﴾.

نتبين مما سيق من الآيات، أن القرآن استخدم، في رسم صورة الشيطان، وأوصافه، وأفعاله، أسلوبَ السرد، وهو الأسلوب الأكثر استعمالاً في كتاب الله العزيز؛ ونلحظ في الآيات السابقة أنها تضمنت أوصافا، وأفعالا، وتحذيرات؛ فكان أسلوب السرد شاملا لكل هذه الأمور. فالشيطان عدو للإنسان، ولذلك حذرنا الله سبحانه من اتباعه. والشيطان يتصف بالنزغ، وإفساد العلاقات المتأصلة بالمودة والرحمة، فيعمل على زعزعتها، وتفريقها؛ فهو يأمرُ بالفحشاء والمنكر، فوصفه الله بأنه عدو الإنسان اللدود، ورغم ذلك، فقد أخبرنا الله سبحانه بأن كيد الشيطان، رغم محاولاته، بشتى الوسائل، إضلال البشر، إلا أنه ذو كيد ضعيف.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ولهذا، فوظيفة السرد الوصفية تجلي لنا ما وراء أفعال الشيطانِ وصفاته، وتوضحها لنا. ولولا هذه التقنية لأغلقت علينا هذه الأمور، وما كنا لنستوضحها. ومن بلاغة القرآن وإعجازه، أن سردَ لنا هذه الصفات والأفعال نفسها، في غير من موضع، وكل موضع يقوم بوظيفة جديدة تختلف عن سابقتها، وربما كان تكرار الصفات والأفعال، عن طريق تقنية السرد، من باب التأكيد والإلزام لهذه الصفات والأفعال للشيطان.

والمتدبر لآيات الله تعالى، في ذكر الشيطان، وأوصافه، وأفعاله، يلحظ، بعمق ، أن الشيطان ديدنه إضلال البشر، وإغواؤهم، وإبعادهم عن جادة الصواب، وهذا ما استوضحناه من خلال قراءتنا وتدبرنا لآيات الكتاب العزيز، المختصة بهذا الموضوع.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثانيا: أسلوب الحوار

تعريف الحوار: لغة:

مادة " (حَ ، وَ ، رَ) ، حور، الحَوْر: مصدر حار يحور حورا إذا رجع. وقال أبو عبيدة في قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ ﴿الانشقاق١٤﴾ أي : لن يحشر . ومثل من أمثالهم : حور في محارة يضرب للرجل المتحير الذي لا يعرف وجهة أمره. قال الراجز :

في بئر لا حور سرى وما شعر

من إفكه حتى إذا الصبح جشر[1]

والحَوْر: الرجوع من صلاح إلى فساد، أو من زيادة إلى نقصان، ومثل من أمثالهم: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، يريد النقصان بعد الزيادة. وقال قوم: الحور بعد الكون، ولا أدري ما وجهه، إلا أنهم زعموا أنهم يقولون: حار بعدما كان. والحور: جلود تشق ويتزر بها الصبيان الواحدة حورة. والحور واحدتها حوراء. والحور: نقاء بياض العين وصفاء سوادها، وأكثر ما يكون ذلك في الصبيان. وكان الأصمعي يقول: لا يكون في الناس حور وإنما ذلك في الظباء. والحور: أحد الكواكب الثلاثة من بنات نعش، وقال مرة أخرى: أحد النجوم الثلاثة التي تتبع بنات نعش. وحوران: موضع. وحوار الناقة: ولدها. ومثل من أمثالهم: لا يضر الحوار وطء أمه. وجمع الحوار حيران وأحورة. وكلمت فلانا فما أحار جوابا، وما سمعت له

---

(1) ديوان العجاج ، العجاج ، عبدالله بن رؤبة ، تحقيق : عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت – لبنان ،١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، ص٧٢- ٧٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حوارا ولا حويرا. وحاورت فلانا محاورة وحوارا وحويرا إذا كلمك فأجبته."[1]. " ويقال: حار الجواب أي رده، ...، ويقال سأله فلم يحر جوابا، أي لم يرد جوابا "[2].

الحوار اصطلاحا:

الحوار، والمحاورة، والمجادلة، والمحادثة، كلها مصطلحات تدل عموما على " تناوب الكلام بين شخصين أو أكثر، حول موضوع يفترض فيه الأخذ والرد توصلا إلى إكفاء حاجة وبلوغ غاية"[3]. ويعدّ الحوار أحد " الأساليب القرآنية المعتمدة، رغم أن الحوار عنصر من عناصر القصة، إلا أنه في كثير من مواطن القرآن الكريم يرد لتقرير حقيقة أو عرض صورة، فهو والمثل صنوان "[4]. وقد ورد الحوار في القرآن بعدة معان، فتارة يأتي بلفظ الحوار والمجادلة: كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[المجادلة-١]، " تجادلك تحاورك "[5]. وتارة يأتي بلفظ المحاجّة، وهذا كثير في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[البقرة-٢٥٨] .

---

(١) جمهرة اللغة ، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن ، تحقيق : رمزي منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٧م ، ج١ ، ص٥٢٥، مادة (ح ، و ، ر).

(٢) المعجم الوسيط ، مصطفى ، إبراهيم وآخرون ، ج١، ص٢٠٥،

(٣) المعجم المفصل في اللغة والأدب ، يعقوب ، أميل و عاصي ، ميشال ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٧ ، ؟؟

(٤) الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه ، الصافي ، محمود، دار الرشيد ، بيروت ، ط٤ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ج٧، ص١٨٢.

(٥) تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، النسفي ، أبو البركات عبدالله بن أحمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، ج٤، ص٢٢٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وتارة يأتي بلفظ المجادلة، ومثاله ما جاء في محاورة الكفار، وإظهار الحق لهم بالتي هي أحسن؛ كما قال تعالى للنبي – صلى الله عليه وسلم– : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل–١٢٥]. " والحوار في القرآن الكريم نوعان: حوار شبه عقلي، يميل إلى الجدل غير القصصي، وهو ذو مقصد ديني في إخبارنا عن لجاج الأمم السابقة، مثل قوم نوح وعاد وثمود وشعيب، وحوار قصصي، نجد القرآن الكريم به وحده، يجعل المَشاهدَ حاضرة وشاخصة وقادرة على ملء الفراغات التي تقع أثناء الحوار"[1].

ولسنا بصدد التوضيح التفصيلي لأسلوب الحوار وأبوابه وفروعه. ولكن ما يهمنا، في هذا الباب، ذكرُ الحوار المتصل بالشيطان وتوضيحه ، وقد انقسم إلى قسمين:

أولا :حوار الله – جل في علاه– مع إبليس .

ثانيا: حوار الشيطان مع الإنسان .

[1] دراسة نصية في القصة القرآنية ، الطراونة ، سليمان ، ط١ ، ١٩٩٢م ، ص١٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولاً: الحوار الذي جرى بين الله - جل في علاه - وبين إبليس في القرآن الكريم:

يتجلى الحوار بين الله وبين إبليس في القرآن الكريم في كل من سورة: (الأعراف – الحجر – الإسراء – ص). والملحوظ أن هذا الحوار لم يلتزم أسلوبا واحدا، بل نجده تارة يتناوله باختصار تطوى فيه التفاصيل، وتغني فيه الإشارة اللامحة الدالة عن عبارات مبسوطة، وأحيانا يُفَصَّلُ، مثلاً، في بداية الحوار يذكرنا الله – سبحانه وتعالى – ببداية الخلق وبقصة آدم – عليه السلام – مع عدو الله إبليس، عندما أمره الله بالسجود لآدم، فأبى وامتنع وتكبر، وقاس القياس الخاطئ؛ بأن عنصره الناري أفضل من عنصر الطين، ونسي أن الله كرَّم آدم وخلقه بيديه، فالله سبحانه يذكرنا بعداوته القديمة والمستمرة، وأن الله سبحانه جعله من المنظرين، فإبليس يقسم بعزة الله بأن يضل العباد كلهم إلا المخلصين، فنجد هذا الحوار مع اختلاف الأسلوب قد تكرر في أربع سور من القرآن مع اختلاف بسيط، ومن المؤكد أن هذا الاختلاف لم يأت إلا لغرض ومقام مناسب له، " فإن إيراد كلام واحد على أساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز، وأما إن كل أسلوب من أساليب النظم الكريم لا بد أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره، وأن ما حُكِيَ من اللعين إنما صدر عنه مرة، وكذا جوابه لم يقع إلا دفعة واحدة، فمقام المحاورة إن اقتضى أحد الأساليب المذكورة، فهو المطابق لمقتضى الحال، والبالغ إلى طبقة الإعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة، فضلا عن الارتّقاء إلى معالم الإعجاز "[1].

---

[1] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، ج٥ ، ص٧٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وبعد هذه المقدمة المقتضبة للحوار وتعريفه وأنواعه ، ينبغي بي أن أوردَ أمثلةً توضح ما أوردته، وقد اقتبست الآيات المتضمنةَ أسلوبَ الحوار من أربع سور، راعيت في ذكرها الترتيب السُّوَريّ، كما هي موجودة في القرآن الكريم:

-أولا: الحوار بين الله سبحانه وتعالى، وإبليس اللعين، في سورة الأعراف:

بداية الخلق وبداية المعصية:

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿ ١١ ﴾

بداية الحوار :

- قال الله- جل في علاه -:﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾
- قال الله تعالى على لسان إبليس: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿ ١٢ ﴾
- قال الله – جل في علاه-:﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿ ١٣ ﴾
- قال الله تعالى على لسان إبليس: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿ ١٤ ﴾
- قال الله- جل في علاه- :﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿ ١٥ ﴾
- قال الله تعالى على لسان إبليس: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ ١٦ ﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿ ١٧ ﴾

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- قال الله-جل في علاه-:﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف-١١-١٨]

نجد في هذه الآيات أنها تمتلئ بأسلوب الغلظة والحدة في الحوار ؛ فمن الألفاظ التي نلمس فيها هذه الغلظة والشدة والتقريع لإبليس اللعين : (فاهبط ، فما يكون لك أن تتكبر فيها ، فاخرج فإنك من الصاغرين ، اخرج منها مذؤوما مدحورا ، لأملأن جهنم منكم أجمعين) ، ونلحظ من بداية الحوار أن الله سبحانه لم يذكر اسم إبليس ، ولعل في هذا تحقيرا وإهانة . فأول الألفاظ الشديدة الوقع والقرع التي وُجِّهت لإبليس جرّاء معصيته الفعل (اهبط) ، " والهبوط أشد طردا من الخروج ؛ إذ الهبوط لا يكون إلا من الأعلى إلى الأسفل ، بخلاف الخروج ، فقد لا يكون كذلك "[1] . وقد كرر الإخراج ، وهو الطرد ، مرتين في الآيات الآنفة الذكر ، وكان لكل ذكر دلالته السياقية المختلفة ؛ وقد كان مرتبطا بالهبوط ، وكذلك بالصَّغَار وفي هذا زيادة في التقريع والذل لإبليس . كما نلحظ تكرار فعل الخروج مرة أخرى مقترنا بصفتين هما (مذؤوما مدحورا) وجاء في لسان العرب : " ذأم الرجل يذأمه ذأما : حقره وذمه وعابه ، وقيل : حقره وطرده ، فهو مذءوم ، كذأبة ، قال أوس بن حجر :

فإن كنت لا تدعو إلى غير نافع ***** فذرني، وأكرم من بدا لك واذأم [*]

و ذأمه ذأما : طرده . وفي التنزيل العزيز : ﴿ اخرج منها مذؤوما مدحورا ﴾ ويكون معناه مذموما ويكون مطرودا . وقال مجاهد : مذؤوما منفيا ، ومدحورا مطرودا . وذأمه ذأما :

---

[1] التعبير القرآني ، السامرائي، فاضل صالح ، دار عمار ، عمان – الأردن ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص ٣٠١ .

*وجدت هذا البيت في ديوان أوس بن حجر باختلاف كلمة (فذرني) على النحو التالي:

فإن كنت لا تدعو إلى غير نافع ***** فدعني، وأكرم من بدا لك واذأم

ديوان أوس بن حجر ، ابن حجر، أبو شريح أوس ، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم ،دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط٣، ١٩٧٩م ،ص١٢٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أخزاه "[1]. ومن خلال هذه الألفاظ في سورة الأعراف نجد أن الحوار امتاز بالشدة والتحقير لإبليس اللعين ، فلم يبسط الله سبحانه في الكلام مع إبليس ، وهذا دلالة السخط الكبير.

ثانيا: حوار الله مع إبليس في سورة الحجر:

قال تعالى في بداية الخلق، وبداية المعصية:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

بداية الحوار :

- قال الله- جل في علاه -: ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾

- قال الله تعالى على لسان إبليس: ﴿ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾

- قال الله- جل في علاه - : ﴿ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾

- قال الله تعالى على لسان إبليس: ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾

- قال الله- جل في علاه - : ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

- قال الله تعالى على لسان إبليس: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾

---

[1] لسان العرب ، ابن منظور، ج١٢ ، ص ١١٩ ، مادة (ذأم)

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

- قال الله- جل في علاه - : ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

لم يختلف الحوار في سورة الحجر عنه في سورة الأعراف اختلافا كبيرا ، حيث ذكر الله – سبحانه وتعالى – قبل الحوار مادة خلق الإنسان الأول ﴿ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ ، ومادة خلق الجن ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ ، وكما ذكرت آنفاً أن إبليس من الجن ، وفي هذا تمهيد لمعرفة كل من الإنسان وإبليس قدره ، حيث خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه وهذا وحده يكفي بأن يتفضل آدم على إبليس ، ولكن إبليس لم يسجد لآدم عندما أمره الله –تعالى – بالسجود مع الملائكة .

-

ة يـ

الخطاب الموجه لإبليس ،فلم ينادِ الله – سبحانه وتعالى – إبليس باسمه في القرآن إلا في موضعين في سورة الحجر وسورة ص. قال الله- جل في علاه -:﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ فلم يكن النداء نداء عادي وذلك عندما كان المنادي هو الله مالك الملك لهذا المخلوق–إبليس– الذي خلقه ثم عصاه ،وإنما كان نداء متضمناً سؤالاً – والله أعلم بحاله – يفيد التقريع والتوبيخ ،وهذا الأسلوب زاد من حدة الخطاب وغلظته على إبليس ، فما كان من إبليس إلا أن أجاب بقوله: ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ فما منعه من السجود إلا الكبر والتعالي ، فقد طرده الله من الجنة ،فكان جزاؤه من جنس عمله ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ } فجاء أسلوب الحوار مليئاً بألفاظ الشدة والغلظة ومن ذلك لفظة (اخرج) وهي تعني الطرد الصريح ،وهي كلمة لا تقال إلا عند

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

العُصُب الشديد في الغالب ،وكذلك لفظة (رجيم) وهي صيغة مبالغة على وزن فعيل بمعنى مفعول أي مرجوم ومطرود من رحمة الله ،بعد ذلك طلب إبليس من الله أن ينظره إلى يوم الدين ،فأعطاه الله سؤله ، وقد تكررت بعض الآيات الحوارية في سورة (ص~) بنفس الألفاظ ،لذلك نجد تشابها بين آيات الحوار في سورة (الحجر وص~)فقد جاء الحوار في هذه الآيات قمة في الإيجاز والإعجاز ،حيث نجد الأساليب المتنوعة في الحوار ، وكذلك نجد استخدام الألفاظ التي توحي بشخصية المحاور،كما جاءت الألفاظ غاية في الدقة من حيث التعبير عن مضمونها .

ثالثا: حوار الله مع إبليس في سورة الإسراء:

بداية الحوار :

- قال الله- جل في علاه -: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾

- قال تعالى على لسان إبليس: ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿ ٦١ ﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ ٦٢ ﴾ ﴾

- قال الله- جل في علاه -: ﴿ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿ ٦٣ ﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿ ٦٤ ﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿ ٦٥ ﴾ ﴾ [الإسراء-٦١-٦٥] .

جاء الحوار في هذه الآيات حواراً هادئاً مختصرا ، ففي الآيات السابقة لم تُذكر قصة بداية الخلق كما في سورة (الأعراف والحجر) ولم يُسأل إبليس عن عدم سجوده وإنما جاء

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجواب مباشراً من إبليس دون سؤالٍ مسبق كما في الحوارات السابقة ﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ ٦١ وجاءت الألفاظ الحوارية في هذه الآية أخف من غيرها من الألفاظ ،فكلمة(اذهب) أخف وقعاً في النفس من كلمة (اخرج) ، فلم يبسط الله الحوار مع إبليس ،ونلحظ أيضا أن الله ختم الحوار مع إبليس بقوله:﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ بخلاف ماختم به الحوارات في السور السابقة مثل قوله تعالى : -:﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٨ [الأعراف-١١- ١٨] ﴿ ٤٢ ﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وفي هذا دليل على تنوع أساليب حوار الله مع إبليس ليتناسب مع سياق الآيات ، وفيه دليل أيضا على براعة نظم القرآن ، وأنه من لدن حكيم عليم ،فهو محكم في آياته .

رابعا : حوار الله مع إبليس في سورة ص:

قال تعالى في بداية الخلق، وبداية المعصية:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ﴾ ٧١ ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ٧٢ ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ٧٣ ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ٧٤ ﴿

بداية الحوار:

- قال الله- جل في علاه -:﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ ٧٥ ﴿

- فقال تعالى على لسان إبليس: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ ٧٦ ﴿

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- قال الله- جل في علاه -:﴿ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾

- قال الله تعالى على لسان إبليس: ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾

- قال الله- جل في علاه -: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾

- فقال تعالى على لسان إبليس: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

- قال الله تعالى: ﴿ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾ .[ص،٧٥،٨٨].

- يعد الحوار في سورة (ص~) شاملا لما سبقه من حوارات في كل من (الأعراف و الحجر والإسراء) فلو تأملنا الآيات السابقة لا تضح لنا ذلك ، ففي بداية الحوار ذكر الله لنا بداية الخلق، وبداية المعصية ، وهذا ما لا حضناه في السور السابقة، كما أن الله نادى إبليس باسمه في هذه السورة ،وفي سورة الحجر كذلك، ولم يناده باسمه في سورتي الأعراف والإسراء، ونجد تكرار السؤال في سورتي الأعراف والحجر باختلاف في الصيغة ،ولم يذكر في سورة الإسراء ، كما نجد افتخار إبليس في عنصره في جميع الآيات، أما الألفاظ فقد وردت لفظة (اخرج) في هذه السورة ،و تكررت لفظة في سورتي الأعراف والحجر، كما نجد تشابها في الآيات بين هذه السورة وبين سورة الحجر كما في قوله تعالى في سورة ص~

- قال الله تعالى على لسان إبليس: ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- قال الله- جل في علاه -:﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾

فالحوار في سورة ص~ يعد متنوعا في أساليبه ،شاملا لجميع الحوارات السابقة ، ولعل هذا يفسر بأن السياق كان مناسبا لعرض هذا الحوار في هذه السورة وبهذا التنوع حتى يؤدي الغرض الذي من أجله ذكر هذا الحوار والله أعلم.

وفيما يلي عرض للآيات التي ورد فيها حوار الله مع إبليس في جدول ليسهل التأمل فيها :

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

سورة الأعراف مكية	سورة الحجر مكية	سورة الإسراء مكية	سورة ص~ مكية
{ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين }	{ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون،والجانَّ خلقناه من قبلُ من نار السموم، وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين }	{ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس }	{ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين }
{ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك }	{ قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين }		{ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرتَ أم كنت من العالين }
{ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين }	{ قال لم أكن لأسجدَ لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون }	{ قال أأسجد لمن خلقت طينا }	{ قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين }
{ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج فإنك من الصاغرين }	{ قال فاخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين }		{ قال فاخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين }
{ قال أنظرني إلى يوم يبعثون }	{ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون }	{ قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا }	{ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون }
{ قال إنك من المنظرين }	{ قال فإنك من المنظرين، إلى يوم الوقت المعلوم }	{ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا }	{ قال فإنك من المنظرين، إلى يوم الوقت المعلوم }
{ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم }	{ قال فبما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين }		{ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين }
{ قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين }	{ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين }	{ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا }	{ قال فالحق والحق أقول، لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين }

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من خلال العرض المبسط للحوارات المتوزعة بين السور، والتي جاءت كلها لتتحدث عن موضوع واحد، ألا وهو المعصية التي ارتكبها إبليس اللعين، حينما أمره الله بالسجود لآدم، حيث أخذته العزة بإثمه وبكبره، فرفض أمر الله له، فعاقبه الله على ذلك بأن أخرجه الله من الجنة.والناظر غير المتأمل لهذه الآيات، يصفها، من الوهلة الأولى، بأنها متكررة، ولا جديد فيها، ولكن المتتبع الحصيف للآيات الموردة آنفا، يجدُ أن هناك اختلافا في سياق الحوار في السور الكريمة، مع أنها جاءت لتبين القضية نفسها، لكن الاختلاف إنما حصل لأغراض دلالية عميقة، أرادها الله سبحانه، وهنا تظهر أهمية الحوار، ويتجلى الإعجاز الإلهي في القرآن الكريم.

فلو عدنا إلى نوع تلك السور لوجدنا أنها سور مكية، ونحن نعلم أن من غايات السور المكية ترسيخ العقيدة والإيمان في قلوب الناس، وكذلك فإن من غاياتها الاعتبارَ بقصة أبيهم آدمَ مع إبليس، وكيف أودت المعصية بهم، حتى أهبطتهم جميعا من الجنة " ويلاحظ المتأمل في القرآن أن الحوار يكثر في الآيات المكية بالمقارنة مع غيرها من الآيات المدنية؛ وتعليل هذه الظاهرة هو في كون الحوار أكثرَ منابة لمخاطبة الوجدان، حيث إن السور المكية تشتمل على أصول الدين ،وتنفر من عبادة الأصنام، وتحبب إلى الجنة، وتشوق إليها، وتهدد بالنار، وتخوف بها. وهي، لذلك، تزخر بالأساليب الثائرة المؤثرة . فالحوار هو أحد هذه الأساليب القادرة على إثارة المشاعر، وقد يكون السبب راجعا أيضا إلى مراعاة القرآن للموقف الجديد في مكة، فقد لاقى القرآن من معارضيه إنكارا شديدا، بعد أن طرق أسماعهم لأول مرة، فاتبع

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

معهم طريقة الحوار؛ ليرد على إستفهاماتهم وأدلتهم، ويقيم الحجة عليهم، وهذه الطريقة فعالة في ميدان التربية والتوجيه "[1]. ومن غايات هذه القصص " الحوارية " بين الله سبحانه وبين إبليس اللعين، لأجل أن ندركَ مدى الشرف العظيم الذي منحنا الله إياه، بأن جعل الملائكة تسجد لآدمَ، وهذا دليل دامغ على رقي هذا المخلوق وتميزه عند الله تعالى، ويبين لنا أن إبليس هو العدو الأول والأقدم الذي بقي مصاحبا لآدم وذريته حتى قيام الساعة، وفي هذه القصص الحوارية أيضا إشاراتٌ عميقةٌ تبين الكره الأزلي بين هذين الجنسين المخلوقين من مادتين مختلفتين: الطين، والنار، وهما لا يلتقيان. فهذه الحوارات تهدف بشكل رئيس إلى الإنذار والتحذير من هذا العدو اللدود الذي أعلن عداوته جهارا أمام خالق الكون ولم يخجل منه، فكيف به أمامنا؟ لكن الله سبحانه قد عصم بحفظه عباده المخلصين، وهذه أيضا بشارة وإشارة لأن نتمسك بالعروة الوثقى وأن نبقى مع الله حتى لا يعتورنا قسم إبليس ،ولكي لا ندخل في ضمن المقسَم عليهم؛ حيث أقسم إبليس فقال: ﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ .

ثانيا : حوار الشيطان مع الإنسان:

يعتمدُ القرآن بشكل كبير على أسلوب الحوار؛ لما فيه من تسهيل في إيصال الرسائل والمقاصد الإلهية إلى الإنسان، " وطريقة الحوار في القرآن لها أهدافها النفسية وأبعادها التربوية، فغاية القرآن هي مخاطبة الإنسان ليحصل على الإقناع الذاتي المقرون بالحجة والبرهان، ...، وقدرة الحوار على توفير أسباب الإقناع للنفس الإنسانية جعلت القرآن يفضله في مواطن كثيرة منه "[2].

---

(1) طرق العرض في القرآن الأهداف والخصائص الأسلوبية ، باطاهر ، بن عيسى ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، الحولية الثانية والعشرون ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ص ٤٥

(2) طرق العرض في القرآن الأهداف والخصائص الأسلوبية ، باطاهر ، بن عيسى ، ص ٢٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد اعتدنا خلال تتبعنا لأنواع الحوارات في القرآن الكريم أن تكونِ بين الله والإنسان، أو بين الله وإبليس اللعين، أو بين البشر أنفسهم، لكن أن يكون حوار بين إنسان وشيطان، أي، بعبارة أخرى، مخلوقين: أحدهما خفي، والآخرُ ظاهرٌ، فهذا أمرٌ يثير الدهشةَ والاستغراب، لكنه حصل، فكان في مواطن متعددة في القرآن الكريم، ولنا في هذا أن نوضح لطيفة من لطائف القرآن الكريم وأسراره؛ حيث نلحظ أن هناك تدرجا زمنيا في حوار الشيطان للإنسان : حوارٌ في أول الخلق، وحوار في الأرض، وحوار في يوم القيامة.

أما ما كان في أول الخلق، قبل أن يهبط آدم من الجنة قوله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴿الأعراف-١٩-٢٤﴾.

نلحظ في هذا الحوار، الذي جرى بين آدم وإبليس، انه كان متدرجا؛ من الوسوسة، وهي الصوت الخفي، غير الظاهر، إلى الحوار الجهري المسموع والمحادثة الظاهرة بين الطرفين: إبليس من جهة، وآدم وحواء من جهة أخرى. وشرع الشيطان حينئذ بتزيين الأكل من الشجرة، ووصفها بأنها شجرة الخلد، وبدأ محاورتهما عن طريق الأسئلة، والمدهش في

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

هذا الحوار، أن إبليس يحاور آدم وزوجه سائلاً، وفي سؤاله نبرة السلطة والسطوة والمعرفة، ولكن آدمَ وزوجه لم يردّا، حتى تكتمل عناصر الحوار. وهنا تكمن الروعة والإعجاز؛ إذ كان عدمُ ذكر الجواب، من آدم وزوجه مقصودا في الآية، وغير مقصود من الأخيرين؛ فالحيرة منهما، بين أن يأخذا بكلام الله، حين نهاهما عن الأكل من الشجرة، وبكلام إبليس الذي أغراهما، وهذا من سمات النفس البشرية، أنها تخضع للإغراء، بأن الشجرة تمنح الخلد وملكًا لا يبلى، هذا الأمر قد ألجمَهما، وأوقعهما في الحيرة، التي دفعتهما إلى الصمت وعدم رد الجواب. فاستغل الشيطان هذه الحيرة، بالقسم أنه من الناصحين. وذكر وهبة الزحيلي في تفسيره: " أسكن اللّه آدم الجنة، وخلق له حواء، وأباح لهما الاستمتاع بثمار الجنة إلا شجرة عينها لهما، فوسوس لهما إبليس بالأكل منها وأغراهما، وقال لهما: ما نهاكما ربكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا لأن الأكل منها يجعلكما من الملائكة، أو تكونا خالدين دون موت ولا فناء، فرفض آدم في بداية الأمر، وقاوم إغراءات الشيطان، ولكن إبليس استمر في إلقاء وساوسه: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف٧/ ٢١] ، حتى نسي آدم أنه عدوه الذي أبى السجود له، فأكل آدم وحواء من الشجرة: ﴿ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا، وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ [طه٢٠- ١٢١] ليسترا عوراتهما، فعاتب اللّه آدمَ على مخالفة أمره والأكل من الشجرة، فندم واستغفر اللّه وتاب، فقبل توبته، ولكنه أمره وحواء بالخروج من الجنة، والاستقرار في الأرض "[1]. وما يؤخذُ من هذا التفسير أن الشيطان قد أجهدَ في أول الأمر حتى أقنع آدم بالأكل من الشجرة؛ إذ رفض آدمُ رفضا قاطعا أن يأكل منها، مما أجبر إبليس على الحلف

[1] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الزحيلي ، وهبة بن مصطفى ، ج١، ص ١٤٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بالله كاذبا بأنه من الناصحين، فما كان من آدمَ إلا أن صدقه، فهو لم يعتقد أن أحدا يحلف بالله كاذبا، فأكل من الشجرة!

وأما ما كان من حوار بين الشيطان والإنسان في الأرض قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر١٦]. ولهذه الآية سبب نزول " حدثنا عبد الرزاق عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، قال: كان رجل من بني إسرائيل، وكان عابدا وكان ربما داوى المجانين، وكانت امرأة جميلة أخذها الجنون فجيء بها إليه ،فتركت عنده ،فأعجبته فوقع عليها، فحملت، فجاءه الشيطان فقال: إن علم بهذا افتضحت فاقتلها وأرقدها في بيتك، فقتلها ودفنها، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها، فقال: ماتت فلم يتهموه لصلاحه فيهم ورضاه، فجاءهم الشيطان فقال: إنها لم تمت، ولكنه وقع عليها فحملت فقتلها ودفنها، وهي في بيته في مكان كذا وكذا، فجاء أهلها فقالوا: ما نتهمك ولكن أخبرنا أين دفنتها، ومن كان معك ؟ ففتشوا بيته فوجدوها حيث دفنها ،فأخذ ،فسجن، فجاءه الشيطان، فقال: إن كنت تريد أن أخلصك مما أنت فيه، وتخرج منه، فاكفر بالله، فأطاع الشيطان، وكفر فأخذ فقتل فتبرأ منه الشيطان حينئذ، قال طاوس: فما أعلم إلا بهذه الآية أنزلت فيه﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ [الحشر١٦]. "[1].

جرى هذا الحوارُ، زمنيا، في الأرض، بعدما أهبطه الله من السماء، إذ إنه أوفى بقسمه، الذي أقسمه على الله أنه سيغوي ذرية آدم أجمعين، إلا عباد الله المخلصين، وفي هذه القصة نجد أن الشيطان أراد أن يضل هذا العابد، حينما حاوره حوارا داخليا، بعدما كان هذا العابد مطيعا لله،

[1] تفسير القرآن ، الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام ، تحقيق : مصطفى مسلم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٩٨٩م ، ج٧، ص ١٦٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لكن الشيطان زين له الزنا، ثم القتل ، ثم الكفر، متدرجا الأولى فالأولى، وكانت نتيجة هذه المحاورة الداخلية والوسوسة، وهي نوع من الحوار، إغواء العابد، وإضلاله.

كما نجد الحوار في الأرض، بين الإنسان والشيطان، قد تكرر في غزوة بدر، حينما تصوّر الشيطان بصورة سراقة بن مالك، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال٤٨].

وقال الشنقيطي في كتابه: " وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ: أَنَّهُ تَمَثَّلَ لَهُمْ فِي صُورَةِ «سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ» سَيِّدِ بَنِي مُدْلِجِ بْنِ بَكْرِ بْنِ كِنَانَةَ، وَقَالَ لَهُمْ مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنَّهُ مُجِيرُهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ، فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، عِنْدَمَا رَأَى الْمَلَائِكَةَ وَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، فَكَانَ حَاصِلُ أَمْرِهِ أَنَّهُ غَرَّهُمْ، وَخَدَعَهُمْ حَتَّى أَوْرَدَهُمُ الْهَلَاكَ، ثُمَّ تَبَرَّأَ مِنْهُمْ "[1]. وذكر ابن كثير في تفسيره: " قال ابن عباس في هذه الآية: لما كان يوم بدر سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين، وألقى في قلوب المشركين: أن أحدا لن يغلبكم، وإني جار لكم. فلما التقوا، ونظر الشيطان إلى إمداد الملائكة، ﴿ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ قال: رجع مدبرا، وقال: ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ الآية. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين، معه رايته، في صورة رجل من بني مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ﴾ فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار ، ج٢ ، ص ١٠٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فرمى بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين وأقبل جبريل، عليه السلام، إلى إبليس، فلما رآه -وكانت يده في يد رجل من المشركين -انتزع يده ثم ولى مدبرا هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة، أتزعم أنك لنا جار؟ فقال: ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وذلك حين رأى الملائكة "[1]. وإننا لنجدُ في هذه القصة حوارا بين الشيطان والإنسان، لكن الأمر اختلف؛ إذ تصور الشيطانُ بصورة " سراقة بن مالك " وحاور المشركين، وأغراهم بأنه سينصرهم في المعركة، وهذا يثبت أن الشيطان يمكن له أن يتهيأ ويتصور بصورة البشر ويتلبس صفتهم وخلقتهم.

أما ما كان من حوار بين الشيطان والإنسان في يوم القيامة،فمثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ﴾ الآية. فقد ذكر أبو حيان الأندلسي في تفسيره: " مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر محاورة الاتباع لرؤسائهم الكفرة، ذكر محاورة الشيطان وأتباعه من الإنس، وذلك لاشتراك الرؤساء والشياطين في التلبس بالإضلال. والشيطان هنا إبليس، وهو رأس الشياطين "[2]. فقد أخبر الله -سبحانه وتعالى- أن هذا الحوار يجري بين الشيطان والإنسان يومَ القيامة، حين يقضى الله بين عباده، فيقول الشيطان لأولياءه ممن اتبعوه أنه قد تبرأ منهم، وأنه بريء مما فعلوا، وفي هذا الحوار إقرار من الشيطان بأنه لا وعدَ صادقا له، وأن وعد الله هو الحق.

---

(1) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، ج٤، ص٧٢

(2) البحر المحيط ، الأندلسي ، أبو حيان ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م ، ج٥ ، ص٤٠٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

من خلال ما سبق، من حوارات متعددة بين الشيطان والإنسان، ابتدأت في أول الخلق، ثم في الأرض في الحياة الدنيا، وانتهت في يوم القيامة. وختام الأمر لا بد لنا من أن نشير إلى أن أهم ما يهدف إليه الحوار، مما سبق، " خطابُ البشر بطريقة تناسب نفوسهم المجبولة على الجدال مع الرغبة في حب الاستطلاع، والقرآن كعادته دائما، اختار الطرق والأساليب، التي يجد الناس فيها حاجتهم الفكرية والأدبية، ...، والحوار طريقة فعالة في تحقيق هذه الغاية، وتحقيق للإقناع الذاتي المشبع بالدليل والبرهان "[1].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

[1] طرق العرض في القرآن الأهداف والخصائص الأسلوبية ، باطاهر ، بن عيسى ، ص ٢٨.

المبحث الثاني: الأساليب البلاغية في صورة الشيطان في القرآن الكريم:

أولاً: التشبيه:

تُعدُّ الصورة التشبيهية في العربية عموماً، وفي القرآن الكريم على وجه الخصوص ، من أهم التشكيلات البلاغية ، ومن أنجع الوسائل المستعملة في البيان العربي ، وهي عمدة التصوير الفني ، ذلك أن لها دورا مركزيا في التشكيل الصوري، وقد تجاوزت تصوير المحسوسات بالمحسوسات، إلى أن عمقت معنى الصورة، فأصبح لاستخدامها تقنيات متعددة، وغير محصورة في نطاق واحد، وهذا يظهر جليا إذا تتبعنا الصورة التشبيهية في القرآن الكريم .

وهناك عدد من الأساليب البلاغية التي تتعلق بالتشبيه، وتخرج به عن طريقته المألوفة،من مثل المخالفة أو نفي التشبيه، وأسلوب النسبة، وأسلوب الإيحاء بالتشبيه، وأسلوب المقارنة أو المفاضلة، وقد رأى الدكتور عبد القادر الرباعي" أن هذا يحدث وفق ظاهرة نفسية عبر عنها علماء النفس بما سماه"قانون التداعي" أي أن العنصر الواحد منها قد يستدعي في موقف نفسي المتنافر، كما يستدعي المتآلف سواء بسواء"[1].

التشبيه لغة: التمثيل. وهو مصدر مشتق من مادة شبه. قال ابن منظور: " شبه: الشبه، والشبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء الشيء: ماثله، ...، وأشبهت فلانا، وشابهته، واشتبه علي، وتشابه الشيئان، واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه. وفي التنزيل:

---

(1) انظر : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، الرباعي ، عبد القادر ، جامعة اليرموك ، إربد ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، ص٢٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

﴿ متشابها وغير متشابه ﴾ ﴿ الانعام-١٤١ ﴾، وشبهه إياه، وشبهه به مثله. والمشتبهات من الأمور: المشكلات: والمتشابهات: المتماثلات. وتشبه فلان بكذا. والتشبيه: التمثيل "[١].

التشبيه اصطلاحا: تنوعت التعريفات التي تناولت التشبيه، بين القدماء والمحدثين؛ إلا أنها متفقة في مضمونها ؛ ومن هذه التعريفات ما ذكره المبرّد في قوله: " واعلم أن للتشبيه حدا لأن الأشياء تتشابه وتتباين من وجوه، فإنما ينظر من أين وقع، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر، فإنما يُرادُ به الضياء والرونق، ولا يُراد به العظم والإحراق "[٢].

ونجد قدامة بن جعفر يذكر تعريفا آخر للتشبيه، إذ يقول: " إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه، ولم يقع بينهما تغاير البتة . اتحدا، فصار الاثنان واحداً، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء، ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك، فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين؛ اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها "[٣].

أما عند السكاكي فنجده يعرف التشبيه تعريفا شاملا؛ حيث ذكر فيه كلا من المشبه والمشبه به ووجه الشبه؛ فقال: " إن التشبيه مستدع طرفين: مشبها ومشبها به، واشتركا

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور، ج١٣، ص٥٠٣، مادة (شبه)

(٢) الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف ، المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة – مصر ، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ج٣ ، ص٤١

(٣) نقد الشعر ، ابن جعفر ، قدامة ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط٣، ١٩٧٨، ص ١٠٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

بينهما في وجه، وافترقا من آخر "[1]. وقد عرف الخطيب القزويني التشبيه بقوله: " هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى "[2].

وبعد هذا العرض لتعريفات التشبيه عند القدماء، فلا مندوحة من ذكرها عند النقاد والبلاغيين المحدثين، رغم أنه لا يوجد فرقا واضحا بين تعريفات المحدثين والقدماء؛ فقد عرف أحمد مطلوب التشبيه بأنه: " التشبيه ربط بين شيئين أو أكثر؛ في صفة من الصفات، أو أكثر "[3] وعرّفه فضل حسن عباس بأنه: " هو إلحاق أمر بأمر بأداة التشبيه لجامع بينهما "[4]، وعرفه السيد أحمد خليل: بأنه " عقد مقارنة بين أمرين، بطريق النقل في معاني الألفاظ، وعلى نحو خاص من تأليف العبارة وبنائها "[5]. أما عند محمد القاسم، فإنه يعرف التشبيه بقوله: " إن التشبيه علاقة قائمة على الإتيان بمثيل تقوى فيه الصفة "[6].

وهذا موجز المقال في التشبيه في هذا المقام. وإني عندما أدرس في هذا المبحث الصورة التشبيهية للشيطان، في القرآن الكريم، " فذلك لأنها الذروة في تركيبها وفي تكاملها، وهي تسمو على الآثار الأدبية، ...، ولأن تشبيهات القرآن خالدة حية مستمرة الجدة والطرافة والرقة والجزالة، ...، ولأن الصورة التشبيهية في القرآن غنية بالمعاني الإضافية؛ التي تقوي من المعنى، الذي من أجله صيغ التشبيه "[7].

---

(1) **مفتاح العلوم** ، السكاكي ، تحقيق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٣م ، ص١٧٧

(2) **الإيضاح في علوم البلاغة** ، القزويني ، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين ، دار إحياء العلوم ، بيروت - لبنان ، ط٤ ، ١٩٩٨م ، ج١، ص ٢٠٣

(3) **فنون بلاغية البيان – البديع** ، مطلوب، أحمد، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط١، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، ص ٣٣

(4) **البلاغة فنونها وأفنانها** ، عباس ، فضل حسن ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١١، ٢٠٠٧، ص ١٧

(5) **المدخل إلى دراسة البلاغة العربية** ، خليل، السيد أحمد ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، د. ط ، ١٩٦٨، ص ٢٢٣

(6) **البلاغة القرآنية دراسة في الصورة الفنية** ، القاسم ، محمد محمود ، ص ٢٢٥

(7) المرجع السابق ، ص ٢٣٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن الأمثلة على الصورة التشبيهية، التي تختص بالشيطان، قوله تعالى: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾

لقد وقف البلاغيون والمفسرون، أمام هذا التشبيه، مواقف عدة، في كون هذا التشبيه حقيقيا أم تخييلا؛ يقول ابن عباس، في باب كونه حقيقة: " كان لأهل مكة جبال قبيحة المنظر، وكانوا يسمونها رؤوس الشياطين، لقبحها إذا نظروا إليها، فشُبه لهم ثمر الزقوم، في المنظر، بتلك الجبال "[1] وذكر الطبري في تفسيره، ثلاثة أقواله في تفسير هذه الآية: " وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء، قال: كأنه شيطان، فذلك أحد الأقوال الثاني: يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانا، وهي حية لها عُرْف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر، والثالث: أن يكون مثل نبت معروف برءوس الشياطين ذكر أنه قبيح الرأس "[2].

فكما هو واضحٌ، مما سبق، فإن لفظة الشيطان، كانت كلمة ، أو صفة متعارفا عليها عند العرب، تُطلق على جبال بعينها، عرفت بقبح منظرها، أو على " نبات ينبت باليمن، أو شجرة كريهة المنظر، أو حيات قبيحة الشكل، وكلها مدلولات مادية لكلمة شيطان "[3]، ومن هذا الجانب، أراد الله سبحانه، أن يصور للإنسان صورة الشجرة القبيحة، غير الحسية، بأقبح صورة حسية رآها الإنسان، وهي الجبال، أو النبات، أو الحيات، باختلاف الآراء.

---

(1) خصائص التشبيه في سورة البقرة دراسة تحليلية ، داود ، إبراهيم علي حسن ، ص ٤٦٢

(2) جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري، محمد بن جرير ، ج ٢١، ص ٥٢

(3) البلاغة القرآنية دراسة في الصورة الفنية ، القاسم ، محمد محمود ، ص ٢٤٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والقول الآخرُ في تفسيرِ هذه الآية، هو أن المفسرين، والبلاغيين، قد اعتبروا أن تشبيه طلع الشجرة برؤوس الشياطين، هو من باب التخييل، وليس واقعا؛ فقد ورد عند الجاحظ: " ولَيْسَ أن النَّاسَ رأوْا شيطاناً قطُّ على صورة، ولكنْ لما كان اللّه تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباحَ جميعِ صُور الشَّياطين، واستسماجَه وكراهتَهُ، وأجرى على ألسنة جميعهم ضرْبَ المثل في ذلك رجع بالإيحاش والتّنفير، وبالإخافة والتّقريع، إلى ما قد جعله اللّه في طباع الأوّلين والآخرين وعندَ جميعِ الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم "[1]. ويؤيد الفخر الرازي ما ذهب إليه الجاحظ، في تفسيره، فيقول: " وأما تشبيه هذا الطلع برؤوس الشياطين ففيه سؤال ، لأنه قيل :إنا ما رأينا رؤوس الشياطين فكيف يمكن تشبيه شيء بها ؟ وأجابوا عنه من وجوه : الأول، وهو الصحيح، أن الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في الصورة والسيرة، واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح والتشويه في الصورة والسيرة ، فكما حسن التشبيه بالملك عند إرادة تقرير الكمال والفضيلة في قوله تعالى : ﴿إِنْ هَاذَآ إِلَا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: ٣١)،فكذلك وجب أن يحسن التشبيه برؤوس الشياطين في القبح وتشويه الخلقة . والحاصل أن هذا من باب التشبيه لا بالمحسوس بل بالمتخيل ، كأنه قيل: إن أقبح الأشياء في الوهم،والخيال هو رؤوس الشياطين، فهذه الشجرة تشبهها في قبح النظر ،وتشويه الصورة ، والذي يؤكد هذا أن العقلاء إذا رأوا شيئاً شديد الاضطراب ، منكر الصورة، قبيح الخلقة ، قالوا : إنه شيطان ، وإذا رأوا شيئاً حسن الصورة، والسيرة ، قالوا إنه ملك "[2]

" ويبدو أن الذي سمح بأن يكون المشبه به خياليا، هو ما تراكم على الخيال، بمرور الزمن، من أوهام، رسمت في النفس صورةَ رؤوس الشياطين، في هيئة بشعة مرعبة، واشتد

---

(1) الحيوان ، الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب ، ج٣ ، ص ١٣١

(2) التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، د.ت ، ج١، ص ٣٧٦٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

رسوخ هذه الصورة، بمرور الزمن؛ حتى صارت كأنها محسوسةٌ، تُرى وتُلمس باليد، فلما كانت هذه الصورة من القوة إلى هذه الحد، ساغ وضعها في موضع التصوير والإيضاح "[1].

ويمكن لنا إجماع القول بأن المهم في هذه الصورة، هي الغاية التي أرادها الله، من تشبيه شجرة الزقوم برؤوس الشياطين، والغاية هي وجه الشبه بينهما، بغض النظر، إن كان تشبيه محسوس بمحسوس، أو محسوس بمعقول، ووجه الشبه هو القبح والتبشيع لمنظر هذه الشجرة، وذلك من خلال تشبيهها بأبشع ما خلق الله، وفي هذا إشارة تحذيرية من الله، من عاقبة الكفر به ،والابتعاد عن جادته.

ومثل ذلك في قوله عز من قائل: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ {البقرة ٢٧٥}.

يصور الله حال الذين يأكلون الربا، في الدنيا، بحال الذي يتخبطه الشيطان من المس، وهي صورة مشبعة للمعنى القرآني الذي أراده الله سبحانه، وتشبيه آكل الربا بالذي يتخبطه الشيطان هو " تشبيه ما يعجب الناس من استقامة حالهم، ووفرة مالهم، وقوة تجارتهم، بما يظهر من حال الذي يتخبطه الشيطان، حتى تخاله قويا سريع الحركة، مع أنه لا يملك لنفسه شيئا "[2].

ولقد اختلف في الزمن الذي يقوم فيه آكلُ الربا كالذي يتخبطه الشيطان ؛ فمنهم من قال إنه في الحياة الدنيا، ومن ذلك قول ابن عطية: " قال القاضي أبو محمد: وأما ألفاظ الآية

---

(1) من بلاغة القرآن ، البدوي ، أحمد أحمد ، مكتبة نهضة مصر ، ط٣ ، ١٩٥٠ ، ص ١٩٤

(2) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ابن عاشور، ج٣، ص ٨١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

فكانت تحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلى تجارة الربا [في الدنيا]* بقيام المجنون، لأن الطمع والرغبة تستفزه حتى تضطرب أعضاؤه، وهذا كما نقول لمسرع في مشيه ، مخلط في هيئة حركاته ، إما من فزع أو غيره ، قد جن هذا، وقد شبه الأعشى ناقته في نشاطها بالجنون في قوله:

وَتُصْبِحُ مِنْ غِبِّ السُّرى وَكَأَنَّما ... أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجِنِّ أَوْلَقُ[1] "[2]

وقال مثلَ ذلك سيد قطب: " إنهم لا يقومون في الحياة ولا يتحركون إلا حركة الممسوس المضطرب القلق المتخبط الذي لا ينال استقراراً،ولا طمأنينة،ولا راحة "[3].

وأجمع أكثر المفسرين على أن زمن القيام هو يوم القيامة؛ ومن ذلك ما ذكره الطبري في تفسيره: " عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ { البقرة ٢٧٥ } . "[4].

وهناك من يجمع بين القولين، يقول الدكتور إبراهيم علي حسن: " وهو تشبيه مركب يوائم ما سيق لأجله؛ إذ إنه يصور المرابي في تصرفاته،وجشعه،وتكالبه بالذي صرعه الشيطان، ولا مانع أن يكون ذلك في الدنيا، كما يكون في الآخرة متمثلا بأنهم كلما أرادوا النهوض سقطوا؛ كالذي يتخبطه الشيطان من المس، ...، والتشبيه هنا يؤدي دوره الإيحائي

---

* الكلمة زيادة من الباحث

(١) ديوان الأعشى ، الأعشى ، أبو بصير ميمون بن قيس ، تحقيق : حسين ، محمد محمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٣ ،

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية ، ج١، ص ٣٤٥

(٣) في ظلال القرآن ، قطب ، سيد ، ج١، ص٣٢٦.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري ، محمد بن جرير، ج٦ ، ص٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

في إفزاع الحس؛ لاستجاشة مشاعر المرابين، وهزها هزة عنيفة تخرجهم من مألوف عادتهم، ومن حرصهم على جمع الأموال بالطريق غير المشروع "[1].

والراجح والله أعلم أن الزمن الذي يقوم فيه آكل الربا كالذي يتخبطه الشيطان يكون في الحياة الدنيا.

والظاهر من الآية الكريمة، أن التشبيه إنما جاء ليبين حال آكل الربا وشناعة فعله، فيشبهه بأبشع صورة يمكن أن تُتصوَّر، وغلب على هذه الصورة الطابع الحركي، بشكل جلي، وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق، إذ إنها صورة تمتاز بروعتها، وقدرتها على إشباع المشهد والقدرة على تصويره، من كافة جوانبه.

ومثله، كذلك، قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ {الأنعام-٧١}.

وهو تشبيه تمثيلي إذ شبه الله – سبحانه وتعالى– حال من كفر بعد إيمانه " كمثل رجل كان مع قوم على الطريق، فضل الطريق، فحيرته الشياطين، واستهوته في الأرض، وأصحابه على الطريق، فجعلوا يدعونه إليهم يقولون: "ائتنا فإنَّا على الطريق"، فأبى أن يأتيهم"[2]، فكانت الغاية من التشبيه أن يصف الله حال من يرتد عن دينه ويعود كافرا بصورة الذي يشعر بالحيرة والضياع؛ لكي يُحذِّرَ عباده المؤمنين من إضلال الشيطان لهم، فكان

---

(1) خصائص التشبيه في سورة البقرة دراسة تحليلية ، داود ، إبراهيم علي حسن ، ص٥٣٧.

(2) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج٣، ص ٢٧٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أسلوب التشبيه أحكم وأبلغ في إيصال هذا التحذير من خلال هذا المشهد المثير الذي يوحي بحركة الشياطين ،وترصدها لبني آدم ،وجعله يعيش في حالة من الخوف والتردد.

ثانيًا: الاستعارة:

ومن الأساليب البلاغية، المستخدمة في البيان القرآني، الاستعارة؛ وهي تلك التي تعبر عن الغرض في تصوير بارع بلفظ قليل، له أثره في نفس السامع، من غير إطالة ولا إطناب، وإذا كنا قد رأينا في التشبيه، من قبلُ، كيف تتحقق صفة من الصفات، في صورة الشيطان، بصورة قوية، فإنا لنرى في الاستعارة خطوةً أبعدَ في التخيُّل، " وما ذاك إلا لأنها من ذلك النوع الموحي، الذي يجعل القارئ أو السامع يُحس بالمعنى أكملَ إحساسٍ وأوفاه، وتُصور المنظرَ للعين، وتنقلُ الصوتَ للأذن، وتجعل الأمرَ المعنويَّ مُحَسًّا "[1].

وقد قال الجرجاني في الاستعارة: " واعلم أنَّ من شأنِ الاستعارةِ أنك كلّما زدتَ إرادتَك التشبيهَ إخفاءً ازدادتِ الاستعارةُ حسناً . حتى إنك تراها أغربَ ما تكونُ إذا كان الكلامُ قد أُلِّف تأليفاً إن أردتَ أن تُفصحَ فيه بالتشبيه خرجتَ إلى شيءٍ تعافُه النفسُ ويلفظُه السَّمعُ "[2].

وهناك عدة تعريفات ، لتحديد هذا المصطلح ؛ تختلف ، وتتحد في المعنى والمدلول، وسنذكر بعضًا منها ؛ حتى ينجلي لنا المعنى ويتضح.

---

(1) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، عبد التواب، صلاح الدين ، ص٥٩.

(2) دلائل الإعجاز ، الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، ص٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فقد ذهب ابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) إلى أن " العرب تستعير الكلمة ، فتضعها مكان الكلمة ، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاورا لها ،أو مشاكلا "[١].

ومن خلال هذا التعريف ، نتبين أن الاستعارة تقوم بوظيفة استبدالية للكلمة ، تؤدي ذات المعنى ، بعبارة أعمق ، وأكثر تعبيرا.

أما عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، فقد عرف الاستعارة بقوله: " فالاستعارةُ أن تريدَ تشبيةَ الشيءِ بالشيءِ فتدعَ أن تُفصِحَ بالتَّشبيه، وتظهرَهُ ،وتجيءَ إلى اسمِ المشبَّهِ بهِ ،فتُعيرَهُ المشبَّهَ وتجريَهُ عليه ،تُريدُ أن تقولَ : رأيتُ رجلاً هو كالأسدِ في شجاعتهِ وقوةِ بطشِه سَواء فتدعُ ذلك وتقولُ : " رأيت أسداً "[٢].

والصورة الاستعارية القرآنية بنيت بطريقة مفردة، خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن، تفوق بها كل طريقة من طرق التعبير البياني الأصيل. وهي إذ توصل أفكارها ومعانيها للقارئ، فإنها لا توصلها أفكارا مجردة تخاطب بها العقل الإنساني فحسب، وإنما تخاطب النفس الإنسانية أيضا، وتتغلغل في أعماقها على نحو لا تنفصل مضامين الاستعارة به عن فعل الوجدان والنفس. فالقرآن يخاطب الإنسانَ كلاً لا يتجزّأ، عقلا، وروحا، وحسا وشعورا، ووجدانا.

---

(١) تأويل مشكل القرآن ، الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، ١٣٧٣هـ ، ص١٠٢ .

(٢) دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، عبد القاهر ، ص ٦٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والصورة القرآنية الاستعارية تسعى لإحداث الأثر النفسي في المتلقي؛ لتوصيل مقاصد القرآن، وأغراضه، وتثبيتها في النفس الإنسانية، بطريقة جمالية.

أما فيما يخص الصورة الاستعارية للشيطان، في القرآن الكريم، وهو مقصدنا في هذا المقام، فقد توزعت في ثنايا القرآن الكريم، في آياتٍ محددات، كان للاستعارة فيها جمالها، وخصوصيتها، وروعتها، ومن الآيات التي وُظِّفَ فيها التصوير الاستعاري، قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ {البقرة٢٠٨} .

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ {البقرة١٦٨} .

فالمتأمل في الآيتين الكريمتين، يلحظُ بجلاء مدى الروعة الإعجازية؛ إذ يظهر جمال الاستعارة في قوله تعالى: ﴿ ولا تتبعوا خطواتِ الشيطان ﴾ فهل للشيطان خطوات حسيةٍ تُتَّبع؟ يمكننا الإجابة عن هذا السؤال عندما نتعمق أكثر في معاني الآية الكريمة، فقد شُبهت الخطوات بشخصٍ يُتَّبعُ، لكنه حذف المشبه به؛ ذلك أنه ليس من صفات الخطواتِ أنها تتبع، فجاء بصفةٍ غير مشتركة مع الخطوات، وجعلها من صفاتها، وهنا يظهر سؤالٌ جديد: ما الحكمة من جعل الاتباع للخطواتِ، وليس للشيطان نفسه؟ يبدو إن فكرنا بتعمق أكثر في لفظة " خطوات " وجدناها تحمل معنى الكناية كذلك؛ ذلك أن " خطوات " كنايةٌ عن موصوف وهو الأعمال السيئة والضالة، التي يتسم بها الشيطان. وكأن الحياة دربان: درب إلى الله، ودرب الشيطان، وكأن الشيطان، في أعماله السيئة، يمضي في دربه، وأعماله السيئة هي ذاتها الخطوات، والضالون يتبعون هذه الخطوات، ويا لروعة البيان القرآني في تصوير هذا

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المشهد، الذي يبين صفة الشيطان على حقيقته، إنه مثلما اعترف في الآية الكريمة: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال٤٨]. بأنه بريء ممن اتبعه من الضالين، حتى إنه لا يقبل أن يتبعوه، إنهم يتبعون " خطواته "، فالآية الكريمة، تكشف عن صورة عامة ، وشاملة، ترسم الشيطان؛ من كافة أبعاده وزواياه، بألفاظ قليلة، وبكلمات موجزة.

قال ابن عاشور في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ﴿ البقرة-١٦٨﴾: " واتباع الخطوات استعارة تمثيلية أصلها أن السائر إذا رأى آثار خطوات السائرين تبع ذلك المسلك، علما منه بأنه ما سار فيه السائر قبله إلا لأنه موصل للمطلوب، فشبه المقتدي الذي لا دليل له سوى المقتدى به، وهو يظن مسلكه موصلا بالذي يتبع خطوات السائرين، وشاعت هذه التمثيلية حتى صاروا يقولون هو يتبع خطى فلان بمعنى يقتدي به ويمتثل له، والاقتداء بالشيطان إرسال النفس على العمل بما يوسوسه لها من الخواطر البشرية...،واللام في (الشيطان) للجنس ويجوز أن تكون للعهد ويكون المراد إبليس وهو أصل الشياطين وآمرهم، فكل ما ينشأ من وسوسة الشياطين فهو راجع إليه؛ لأنه الذي خطا الخطوات الأولى"[1].

لقد أوجزت هذه الآيات السابقة، الكثيرَ من صفات الشيطان وأعماله، وصورتها لنا. والله تعالى ينهى عن اتباع أعمال الشيطان " خطواته ". ويؤكد على هذا فضل حسن عباس بقوله: " ذلك أن اللفظة المختارة يستقل بها المعنى، فلا يكون فضفاضا، كما أنها تكون مستقرة

[1] تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ابن عاشور ، ج ١ ، ص٤٩٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في مكانها، ليست قلقة ولا مضطربة. ومن هنا جاء الإيجاز؛ إذ المعنى المراد المعبر عنه بهذه اللفظة لا يمكن أن يستوفى بمثلها من الألفاظ، فإذا أردت أن تغيرها فأنت بحاجة إلى ألفاظ كثيرة، وقد سدت هذه الألفاظ مسدها كذلك "[1].

ومن الآيات التي اشتملت على صورة استعارية، اختصت بالشيطان، قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج٣]. فلو تأملنا هذه الآية بشيء من العمق، لوجدناها تزخرُ بفنون البلاغة وأسماها، فكما رأينا في الآية السابقة أن الضالين يتبعون خطوات الشيطان، فهنا، يتعمق المعنى، فيحذر الله من اتباع الشيطان نفسه، ومجاراة أعماله والقيام بها، وقد وصف الله تعالى الشيطانَ بأنه مريد؛ والمريدُ في اللغة تعني " الشديد العتوّ، ومنه قيل، كذلك: شيطان مارد: أي طاغية، وعملاق "[2]. فلو كان لي لقلت: الشيطان كالمارد أو المريد، وكلا اللفظتين تعطيان نفسَ المدلولِ من حيثُ أن كلتيهما تعنيان الطغيان، ومنها أخذت كلمة " التمرُّد "، وهي كلها تصب في معنى العصيان والطغيان وعدم إطاعة الأمر، وهذه من صفات الشيطان، ومن مرتكزاته. إن الشيطان، الذي هو مخلوقٌ يُتَّبعُ، نذير المعصية، وقائد العصاة الغافلين إلى درك الضلال. وهنا، ينبغي أن أشير إلى لطيفة من لطائف القرآن العظيم، أن الله حذرنا أول الأمر من اتباع خطواتِ الشيطان، لأنه عدو الإنسان المبين؛ وكان هذا التحذير قبل الاتباع؛ أي قبل حدوث الفعل، ولكن في هذه الآية، نجدُ أن الله تعالى أسند فعلَ الاتباع إلى الشيطان نفسه، فالسياق القرآني يحكمُ المعنى، ويتحكمُ به، ففي الأولى، لم يكن فعل الاتباع حاصلا، لذا جاء التحذير، لكن في الآية هذه، فإن فعل الاتباع قد

---

(1) البلاغة فنونها وأفنانها ، عباس ، فضل حسن ، ص ٢١٨.

(2) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج٢، ص ٨٦١، مادة (م، ر، د)

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

حصل، فجاء السياق بلفظ الاتباع مسندا إلى الشيطان. ليبرزَ لنا المعنى العميق المراد من الآية الكريمة، وهو تصوير شدة اتباع الإنسان للشيطان، وكأنه أصبح وليا له يتبعه في كل أعماله.

وتتمثل الاستعارة، كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال٤٨].

فعندما نتأملُ قوله تعالى: ﴿ وإذ زين لهم الشيطانُ أعمالهم ﴾ نجدُ في هذه العبارات الموجزة معانيَ جمة، ودلالاتٍ عديدة، تكتنز في داخلها؛ فالأعمال السيئة، التي يرتكبها الإنسانُ، هي قبيحةٌ بذاتها، ولو أدرك الإنسانُ حقيقةً قبحها وعاقبتها، لما فعلها، لكن السبب يتضح لنا من خلال مفتتح الآية الكريمة: ﴿ وإذ زَيَّن لهم الشيطانُ أعمالهم ﴾ فالشيطان يحاول، بشتى الوسائل، أن يُغويَ الإنسان، وأن يحيد به عن الجادة. فهو يُجمِّلُ القبيح، ويجمِّلُ السيئَ من الأعمال، حتى تغشى أعينَ من غرتهم مكائدُ الشيطان، غشاوة الضلال، فيتبعوا خطاه، على عمى منهم، ليس عمى الأبصار، وإنما عمى القلوب، وإنه للعمى الحقيقي.

وهكذا، نجدُ الاختيار الدقيق للألفاظ، الحافل بالقوة والفن والإبداع، الذي يعزز النسق القرآني، ويقويه؛ فالقرآن الكريم، يمتاز بخصوصية في استخدام مثل هذه الأساليب البلاغية، حتى يجعل جماليتها تنبثق منه، لا أن تنبثق جماليته منها. ولذلك فالاستعارة هنا تجمع بين شتيتين: الزينة والعمل السيئ، ثم تجعل منهما كلا واحدا لا يتجزأ، والإنسان بطبعه تجذبه الزينة بشكلٍ كبير؛ والشيطان، بطبعه، يتحرى كل ما يؤدي بالإنسان إلى الضلال والإغواء، فيلجأ إلى تنميق الشر وتزيينه، حتى يرتكبه الإنسان، ثم يتخلى عنه بعد ذلك، بعد أن كان قرينا

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

للإنسان، وهذا يتجلى في ذات الآية، حين يقول سبحانه: ﴿ فَلَمَّا رَأَتِ الْفِتْيَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ؛ فالشيطان، حينما يغوي الإنسان، وينحدرُ به إلى الدرك الأسفل من الضلال، يعلن براءته مما فعل، وكأنه ما فعل شيئا، يحاول في بادئ الأمر أن يخفي الحقيقةَ عنا، ثم ما يلبث، حين يقع الإنسان في مهاوي الغواية أن يتخلى عنه ،ويعلن أنه " يرى ما لا يرون؛ حينها يعترف، واعترافُه حقيقة، أنه يخاف الله، ويتيقن شدة عقاب الله، ولكن، بعد ماذا؟ بعد أن يغرق الإنسان في الخطيئة، ويجعله، وحدَه، ينال شدة عقاب الله، إلا إن تاب وأعلن أوبته لرب العباد، فإن الله رحيم توّاب.

ومن هنا، فالاستعارةُ تُعَدُّ من عُمَد الإعجاز وأركانه، وأحد الأقطاب التي تدور البلاغة عليها، وتوجب الفضل والمزية. وفضل الاستعارة على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعله الحقيقة.

وتتحد قيمة الاستعارة في وظيفتها، التي تتركز في الجمال والإيجاز والإيضاح والجدة، فقد قال أبو هلال العسكري: " الاستعارة: نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض. وذلك الغرض إما أن يكونَ شرحَ المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرزُ فيه "[1].

وليس أجلى وصفا، في تبيان مكانة الاستعارة بين فنون البلاغة، من عبد القاهر الجرجاني إذ قال: " بدر نجومها، وحلي عرائسها. إن شئت أرتكَ المعانيَ اللطيفة، التي هي

[1] الصناعتين ، العسكري، أبو هلال، ص ٢٦٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

من خبايا العقل كأنها قد جُسِّمتِ حتى رأتها العيون. ولو شئت لطفت الأوصاف الجسمانية، حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون "[1].

ثالثا: الكناية:

تعد الكناية في القرآن الكريم طريقة من طرائق البلاغة. وهي من الصور الأدبية اللطيفة، التي تقتبس جماليتها وبلاغتها من جمالية القرآن الكريم وبلاغته.

والكناية في اللغة: "أن تتكلم بشيء وتريد غيره. و كنى عن الأمر بغيره يكني كناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه "[2].

أما في الاصطلاح فقد عرّف لنا عبدُ القاهر الجرجاني الكناية؛ حيث قال: " أن يريدَ المتكلم إثباتَ معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه، فيومئ إليه، ويجعله دليلا عليه "[3].

والقرآن الكريم فيه كثير من هذه الصور الكنائية، لأنه كان الأنموذج الأعلى، والمثال الأوحدَ لكل فصاحة وبيان.

ولا بد من الإشارة إلى أن لفظة " الشيطان " تعد من باب الكناية، وعلى الأخص: الكناية عن موصوف وهو إبليس؛ فإبليس هو الاسم الأصيل للمخلوق الذي عصى الله ولم يسجد لآدم، وقد وُصفَ بالشيطان. أما في التصريفات الأخرى للفظة الشيطان؛ مثل: شياطين،

---

(1) أسرار البلاغة ، الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٨ ، ص ص ٣٢ – ٣٣.
(2) لسان العرب ، ابن منظور ، ج١٥، ص ٢٣٣ ، مادة (كني).
(3) دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، ص ٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شياطينهم، الشياطين، شيطان. فهي تُطلق من باب الكناية لكن يختلف موصوفها باختلاف سياق الآية، فقد تكون لفظة " شيطان " من ذرية إبليس، وقد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس؛ فصار كل من يفعل فعل إبليس من المخلوقات يُسمى شيطانا. وكل الآيات التي وردت فيها لفظة " الشيطان " بكل تصريفاتها، تدخل في باب الكناية، وهذا ما تبين لي من خلال استقراء النصوص، ومن الأمثلة على ذلك قوله سبحانه:

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ {آل عمران ٣٦}.

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ {آل عمران ١٧٥}.

وقوله جل شأنه:

﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ {النساء ٣٨}.

فالشيطان، في الآيات السابقة، وما جاء على شاكلتها من آيات ذكر فيها الشيطان بالإفراد والتعريف، جاء على أنه كناية عن إبليس، والله أعلم.

ومن باب الكناية قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ {الأنعام ١١٢}.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فالكناية قد وقعت في قوله تعالى: " شياطين الإنس والجن "؛ وهي كناية عن موصوف: وهو كل من قام بفعل الشيطان، واتصف بصفاته. واختيار الله تعالى هذا الوصف، ليصف به أولئك الذين حادوا عن طريقه، وعادوا أنبياءه، ليكشف لنا مدى السوء الذي يتصف به الشيطان، فنحن إن أردنا أن نصف سوء شيء، وصفناه بأبشع صورة نتصورها في أذهاننا، وكذلك الله، وله المثل الأعلى، يصف لنا أولئك بأبشع صورة يمكن أن يكونوا عليها، حتى تصل إلينا الصورة التي أرادها سبحانه في هذه الآية الكريمة.

ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ {البقرة١٤} . فالشياطين هنا تقع في باب الكناية، فهي صفة لمردة الكفار ورؤسائهم؛ فلما كان كفار قريش يتصفون بصفات الشياطين، فكان وصف الشياطين أكثرَ مناسبة لهم.

ومن الأمثلة على الكناية قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال٤٨].

نلحظ أن في هذه الآية كنايتين: الأولى في كلمة " الشيطان "؛ وهي كناية عن إبليس، كما ذكرنا آنفا. والثانية في جملة " نكص على عقبيه " وهي كناية عن صفة الشيطان؛ وهي الرجوع والتخلي عن الكافرين، وفي ذلك قال الطبري في تفسيره: " حدثني المثنى قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين، معه رايته، في صورة رجل من بني مدلج، والشيطان

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا ﴾ [الأنفال٤٨]. فلما اصطف الناس، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع. إبليس يده فولى مدبرا هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة، تزعم أنك لنا جار؟ قال ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال٤٨]. وذلك حين رأى الملائكة "[1].

ومن باب الكناية قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ {آل عمران١٥٥}.

فالفعل " استزلهم " كناية عن فعل الإضلال والغواية؛ فاللفظ يرسم في أذهاننا لصورة الحركة التي يقوم بها الشيطان، ولكنها ليست كأي حركة؛ فالفعل يوحي ببطئه، أي أن الشيطان تدرج في إغوائهم، فالصورة الكنائية، في هذه الآية، كان لها الأثر العميق في إيصال الصورة الحقيقية لفعل الشيطان، ومكره، وهدفه في إضلال الناس. والقرآن بكل هذا كان دقيقا في استخدام أساليب بيانه البلاغية، وهذا مما أضفى عليه سمة الإعجاز القرآني؛ الذي لا تدانيه فصاحة وبيان.

" مما تقدم يتضح لنا أن الدلالة الإيحائية للفظ لا تتحدد بل يتلقاها الحس بجرسها، ويتعامل معها الذهن؛ بما اختزن من تجارب لغوية متعددة الدلالات؛ فمن خلال لفظ واحد يلقي

---

[1] جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري، محمد بن جرير، ج١٣، ص ٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ظلاله على حدث الغواية، يُبرز فعل الشيطان، ويكشف ضعف الإنسان واستجابته السريعة لداعي الغواية "[1].

وفي باب الكناية قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ {البقرة ٢٧٥} .

ففعل التخبط، كناية عن حال آكلي الربا، والذين يتعاملون به، فحالهم وهم منغمسون في فتنة جمع المال بالطرق غير المشروعة؛ كالربا كحال الذي أصابه الجنون أو مسه الشيطان فأفقده عقله وإدراكه. فقد كان اختيار القرآن لمثل هذه الألفاظ، بناءً على علاقة مشتركة بينها؛ فالكناية ترسم أمامنا مشهدا مجسدا لمنظر المرابي، وفي الوقت نفسه، لمشهد المجنون الذي يتخبطه الشيطان، وعن العلاقة بين المشهدين، بشكل يستثير النفوس، ويستفز العقول، ويردع الناس عن هذا الفعل القبيح بمجرد تصور هذين المشهدين.

فالصورة الكنائية، في القرآن الكريم، تتسم بلطافة المبتغى والإيجاز في التعبير، " فقد تأتي الكناية في كتاب الله تعالى؛ لتصور لك المعنى أجمل تصوير؛ حتى تحدث في المتلقي التأثير المطلوب؛ فتقرب لك الفكرة المجردة من الصورة المحسة، فتستحيل المبالغة فيه بلاغة، ويصير التهويل فيه تخييلا، ....، فالصورة الكنائية القرآنية معين لا ينضب في تصوير الأحوال الاجتماعية والإنسانية، ومعاييرها السلوكية الفكرية منها والجمالية "[2].

---

(1) البنى والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية ، يحيى ، عماد عبد ، ص ٢٥٩.

(2) البلاغة القرآنية دراسة في الصورة الفنية ، القاسم، محمد محمود، ص ص ١١٧ - ١٢٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث

صورة الشيطان دراسة في الإعجاز القرآني اللغوي

المبحث الأول: الألفاظ والمعاني وتشمل:-

١) التعريف والإفراد في صورة الشيطان.

٢) التعريف والجمع في صورة الشيطان.

٣) التنكير والإفراد في صورة الشيطان.

المبحث الثاني: الترادف في مفردات الشيطان،

ويشمل:

١) قضية الترادف بين التأييد والمعارضة.

٢) رأي في الترادف.

٣) ما يُتوهم ترادفه في ألفاظ الشيطان.

المبحث الثالث: إبليس وذريته صفاتهم

وأفعالهم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الأول : الألفاظ والمعاني:

جاء معنى اللفظ في لسان العرب: هو " أن ترمي بشيء كان في فيك، والفعل: لفظ الشيء، ولفظ بالشيء يلفظ لفظاً تكلم، ولفظت بالكلام وتلفظت به أي تكلمت به "[1]. فقد اهتم العلماء بألفاظ القرآن الكريم حق الاهتمام، فأفردوا المصنفات لشرح وتبيان معاني القرآن وتفسيره، فاللفظ وسيلة المعنى والموصل إليه، فكل لفظة في القرآن الكريم جاءت في مكانها المناسب، فلا يمكن أن نستبدل بها غيرها ، وهذا دليل على أنه ليس من كلام البشر ،وإنما كلام الله. كما أن الأدباء اهتموا بالألفاظ، ووضعوا لها شروطا، وما يجب أن يتوفر فيها؛ لتقوم بتأدية المعنى كاملا؛ لأن الألفاظ في العمل الأدبي تحتل المكانة الأولى؛ لتسهم داخل العبارة بنقل الأفكار، والمشاعر، والأحاسيس"[2].

والمتأمل في ألفاظ القرآن الكريم يجد الإعجاز في ألفاظه ودقة اختيارها، فإن كل كلمة لا يمكن استبدال غيرها بها من الألفاظ. ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، حيث يؤدي كل لفظ معناه بدقة، وتجد في هذا اللفظ أنه استخدم في مكانه المناسب، وهذا الأمر يؤكد أنه لا ترادف في ألفاظ القرآن الكريم، وأن كل لفظة في هذا القرآن لا بد أن نجد وراءها حِكَمًا وأسرارًا. لذلك أمرنا الله بتدبر هذا القرآن والغوص في بحاره. ومما يؤكد ما أسلفت ذكره بعدم الترادف في ألفاظ القرآن الكريم، وهو نطاق بحثي، الفرقُ بين لفظتي (إبليس، والشيطان) اللتين توهمان بأنهما مترادفتان، ولكن إذا أنعمت النظر في الآيات التي تتحدث عن إبليس والآيات التي تتحدث عن الشيطان، لتبين لنا أن هناك فروقا بين هاتين الكلمتين؛

---

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، ج٧، ص٤٦١ ، مادة (لفظ) .

(2) الإعجاز الفني في القرآن ، السلامي ، عمر ، مؤسسات عبد الكريم بن عبدالله ، تونس ، ط١ ، ١٩٨٠، ص ٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالآيات التي تتحدث عن إبليس جاءت تذكرنا بقصة بداية خلق آدم ،وعصيان إبليس في عدم السجود لآدم واستكباره، سوى في آيتين لم تأت في سياق قصة خلق آدم عليه السلام ومعصية إبليس؛ حيث قال سبحانه: ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [الشعراء٩٥]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ٢٠].

ولم تأتِ آية فيها ذكر الشيطان يذكر فيها قصة معصية إبليس، ولعل هذا الاختلاف في استعمال اللفظتين له تفسير، فلا يمكن أن نبدل كلمة الشيطان بإبليس، فلكل واحدة منهما دلالة تختلف عن الأخرى، وهذا يفسر بأن لفظة إبليس إذا وردت فإنها تدل على الاسم الحقيقي للشيطان، ولفظة " الشيطان " صفة له. أما لفظة " إبليس " خاصة به وحده، ولا يمكن أن نسمي الأشرار من الجن والإنس بإبليس؛ ذلك أنه لم يرد في القرآن الكريم، والسنة النبوية، ولا حتى في كتب الأدب واللغة إلا بمعناه الأصلي. أما لفظة الشيطان فهي صفة يتصف بها إبليس، ويتصف بها غيره من أشرار الجن والإنس. ويؤيد هذا الكلام ما ورد في القرآن الكريم في وصفه لكفار قريش قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ {البقرة١٤}.ولم يقل إبليس، فـ " الشيطان إذاً صفة يمكن أن يتصف بها أي امرئ يعمل عمله، وقد وصف الله – عز وجل– بها إبليس، حتى التصقت به ،فصار الناس يظنون أنها خاصة به. ولكن آيات القرآن بينت أن الشيطان صفة لإبليس؛ تأمل قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿ ٣٤ ﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿ ٣٥ ﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

حِينٍ﴿ ٣٦ ﴾.{البقرة٣٤-٣٦} لعلك تلاحظ أن جملة { فأزلهما الشيطان } توحي بصفاتِ إبليس، أي أزلهما إبليس بكيده وتزيينه ووسوسته "[1]. وقد وردت لفظة " الشيطان " بجميع تصريفاتها، في القرآن الكريم ثمانيا وثمانين مرّة، وتنوعت في ورودها فجاءت بصيغة المفرد المعرفة كما في قوله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة٢٦٨}.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ {آل عمران٣٦}.

، والجمع المعرفة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ {الأنعام-١٢١}. وقوله تعالى: ﴿ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ {الأعراف-٣٠}.

، والمفرد النكرة،كما في قوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً ﴾ [النساء ١١٧].

ولم تأتِ بصيغة المثنى، أو صيغة الجمع النكرة، وهذا ما سأوضحه بعد إيرادنا الآياتِ التي تفصل كل نوع مما ذكرته.

---

(1) شواهد في الإعجاز القرآني دراسة لغوية ودلالية ، أبو عودة ، عودة خليل ، دار عمان للنشر ، ط ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ص٢٢٩ - ٢٣٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

١) التعريف والإطراد في صورة الشيطان.

قال عز من قائل:

١. ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ {البقرة٣٦}.

٢. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ {البقرة١٦٨}.

٣. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ {البقرة٢٠٨}.

٤. ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة٢٦٨}.

٥. ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ {البقرة٢٧٥}.

٦. ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ {آل عمران٣٦}.

٧. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ {آل عمران١٥٥}.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٨. ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران ١٧٥].

٩. ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء ٣٨].

١٠. ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء ٦٠].

١١. ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء ٧٦].

١٢. ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء ٨٣].

١٣. ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء ١١٩].

١٤. ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء ١٢٠].

١٥. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة ٩٠].

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٦. ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ {المائدة٩١}.

١٧. ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ {الأنعام٤٣}.

١٨. ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام٦٨].

١٩. ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام١٤٢].

٢٠. ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الاعراف٢٠].

٢١. ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف٢٢].

٢٢. ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف٢٧].

٢٣. ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف١٧٥].

٢٤. ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف٢٠٠].

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٢٥. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف٢٠١].

٢٦. ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال١١].

٢٧. ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال٤٨].

٢٨. ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [يوسف٥].

٢٩. ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف٤٢].

٣٠. ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف١٠٠].

٣١. ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم٢٢].

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣٢. ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل٦٣].

٣٣. ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل٩٨].

٣٤. ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾ [الإسراء٢٧].

٣٥. ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً ﴾ [الإسراء٥٣].

٣٦. ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ [الإسراء٦٤].

٣٧. ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً ﴾ [الكهف٦٣].

٣٨. ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً ﴾ [مريم٤٤].

٣٩. ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً ﴾ [مريم٤٥].

٤٠. ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ [طه١٢٠.]

٤١. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج٥٢].

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٤٢. ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [الحج٥٣].

٤٣. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور٢١].

٤٤. ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان٢٩].

٤٥. ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل٢٤].

٤٦. ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص١٥].

٤٧. ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [العنكبوت٣٨].

٤٨. ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [لقمان٢١].

٤٩. ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر٦].

٥٠. ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس٦٠].

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥١. ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص٤١].

٥٢. ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت٣٦].

٥٣. ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف٦٢].

٥٤. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد٢٥].

٥٥. ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة١٠].

٥٦. ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة١٩].

٥٧. ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر١٦].

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

جدول إحصائي للفظة " الشيطان " بصيغة المفرد المعرفة في القرآن الكريم

اسم السورة	مكية أو مدنية [ك] أو [م]	رقم الآية	اللفظة	عدد ورودها في السورة
البقرة	م	٣٦-١٦٨-٢٠٨-٢٦٨-٢٧٥	الشيطان	٥
آل عمران	م	٣٦-١٥٥-١٧٥	=	٣
النساء	م	٣٨-٦٠-٧٦-٨٣-١١٩-١٢٠	=	٧
المائدة	م	٩٠-٩١	=	٢
الأنعام	ك	٤٣-٦٨-١٤٢	=	٣
الأعراف	ك	٢٠-٢٧-١٧٥-٢٠٠-٢٠١-٢٢	=	٦
الأنفال	م	١١-٤٨-	=	٢
يوسف	ك	٥-٤٢-١٠٠	=	٣
إبراهيم	ك	٢٢	=	١
النحل	ك	٦٣-٩٨	=	٢
الإسراء	ك	٢٧-٥٣-٦٤	=	٤
الكهف	ك	٦٣	=	١
مريم	ك	٤٤ -٤٥	=	٣
طه	ك	١٢٠	=	١
الحج	ك	٥٢-٥٣	=	٣
النور	م	٢١	=	٢
الفرقان	ك	٢٩	=	١
النمل	ك	٢٤	=	١
القصص	ك	١٥	=	١
العنكبوت	ك	٣٨	=	١
لقمان	ك	٢١	=	١
فاطر	ك	٦	=	١
يس	ك	٦٠	=	١
ص	ك	٤١	=	١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فصلت	ك	٣٦	=	١
الزخرف	ك	٦٢	=	١
محمد	م	٢٥	=	١
المجادلة	م	١٠-١٩	=	٤
الحشر	م	١٦	=	١
المجموع	المكي	٣٧ مرة	٦٤ مرة	
	المدني	٢٧ مرة		

في الآيات السابقة جاءت لفظة " الشيطان " مفردة في صورة المعرفة؛ وقد كان عددها في الآيات الموردة أربعا وستين مرة (٦٤ مرة)، وهي الصيغة الأكثر ورودا من بين تصريفات الجذر " ش، ط، ن "؛ ولعل هذا راجع إلى أن الله سبحانه أراد أن يبين لنا الخطر الأكبر لإبليس، وبالتالي الأهمية الكبرى في الذكر الكثير للشيطان " إبليس " في آيات القرآن، وتجدر الإشارة كذلك إلى تباين العدد بين ذكر " الشيطان " في السور المكية، وذكره في السور المدنية؛ حيث كَثُرَ ذكره في السور المكية فوصل إلى سبع وثلاثين مرة (٣٧ مرة) أما في السور المدنية فقد ورد سبعا وعشرين مرة (٢٧ مرة)، وغاية ذلك، أن الناس، في العهد المكي، كانوا بحاجة إلى ترسيخ للعقيدة في قلوبهم، فجاء التحذير كثيرا من المعيقات لهذا الترسيخ، وأكبر عائق هو الشيطان، حيث إنه كان حريصا أشد الحرص على صدهم عن الدخول في دين الله. أما في العهد المدني، فقد رسخ الإيمان في القلوب، وقلت قدرة الشيطان على تضليل المؤمنين، لتمسكهم بدينهم. فكان تأثير الشيطان، في هذه الفترة، أقل منه في العهد المكي. ولفظ الشيطان، بصيغة المفردة المعرفة، جاءت لتدل على الشيطان الأب وهو إبليس نفسه، وهي الصفة الأولى التي عُرف بها الشيطان عندما عصى ربه. فلفظة " الشيطان " تدل على البعد، من حيث التعريف اللغوي، فكان استخدام هذه اللفظة في التحذير منه أبلغ وأعمق

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تعبيرا وإيصالا للمعنى المقصود؛ لتدل على أن الشيطان هو رأس الشر. فكلما قرأنا آية من الآيات السابقة، تجلت لنا صورة الشيطان الشريرة. فما من شر إلا وأسند إليه، فكان التحذير مباشرا من صفة الشيطان، بصيغة المعرفة المفرد، باعتمادنا أن الشيطان بهذه الصيغة هو ذاته إبليس، نفسه أبلغ وأدق، فلو أردت أن تحذر زيدا من الناس عن شخص يغش في تجارته، فليس من المعقول أن تحذره من كل التجار وتُبهم دون أن تصرح باسم التاجر الذي يمارس الغش في تجارته، أو صفة من صفاته الملازمة له والمختص هو وحده بها. فكلام الله – عز وجل – أبلغ من ذلك وأحكم. فكل كلمة من كلماته وضعت في مكانها المخصص لها، التي لا يمكن أن يحل مكانها غيرُها؛ فلفظة الشيطان جاءت مناسبة في جميع الآيات السابقة؛ لتدل على أن الشيطان المحذر منه هو إبليس نفسه، لذلك جاء التعريف والإفراد في هذه اللفظة. وقد تكررت لفظة الشيطان في الآية الواحدة مرتين أو ثلاثا في صورة المعرفة المفرد، وذلك في خمس آيات، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء٥٣]. وفي قوله تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ [مريم٤٤]. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج٥٢]. وفي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور٢١]. وفي قوله تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة١٩].

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

إذا أنعمنا النظر في الآيات السابقة، وجدنا أن لفظة الشيطان تكررت في الآية الواحدة مرتين، وفي آية المجادلة تكررت لفظة الشيطان ثلاث مرات، كما أن ألفاظ التأكيد كانت مصاحبة لهذا التكرار؛ وما ذلك كله إلا لشدة تحذير السامع أو القارئ من الشيطان، ومن أفعاله، وفيه أيضا طمأنينة للمؤمنين ،بأن جماعة الشيطان هي الخاسرة أمام إيمان الجماعة المؤمنة.

أما ما يتعلق بلفظة " إبليس " وهي اسم علم معرفة مفرد، فقد وردت في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة ، ولم تختلف هذه اللفظة، من حيث المعنى، عمّا سبق من آيات وردت فيها لفظة " الشيطان "، وقد وردت في الآيات التالية؛ قال تعالى:

١- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة٣٤].

٢- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الأعراف١١].

٣- ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر٣١].

٤- ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر٣٢].

٥- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء٦١].

٦- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف٥٠].

٧- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ [طه ١١٦].

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٨- ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [الشعراء٩٥].

٩- ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ٢٠].

١٠- ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [ص٧٤].

١١- ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص٧٥].

جدول إحصائي لعدد ورود لفظة إبليس في القرآن الكريم

السورة	مكية أو مدنية [ك] أو [م]	رقم الآية	اللفظة	عدد ورودها في السورة
البقرة	م	٣٤	إبليس	١
الأعراف	ك	١١	=	١
الحجر	ك	٣١-٣٢	=	٢
الإسراء	ك	٦١	=	١
الكهف	ك	٥٠	=	١
طه	ك	١١٦	=	١
الشعراء	ك	٩٥	=	١
سبأ	ك	٢٠	=	١
ص	ك	٧٤-٧٥	=	٢
المجموع الكلي	المكي	١٠	١١مرة	
	المدني	١		

يتضح لي، من الآيات السابقة، أن لفظة (إبليس) جاءت بصورة واحدة وهي صورة المفرد المعرفة، خلافا للفظة (الشيطان) التي تنوع ورودها في الآيات، كما أن لفظة إبليس تفرد وتذكر مقترنة مع قصة بداية الخلق إلا في موضعين:

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الموضع الأول : في قوله تعالى: ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [الشعراء٩٥]،ولعل ذلك يفسر أنه لما - ذكر الله – سبحانه وتعالى – قصةُ بدايةُ الخلق ناسب أن يُذكر إبليس باسمه حتى يحذر منه المؤمنون ،كذلك يوم الحساب ذكر الله إبليس باسمه ولم يذكر صفته ؛ ليعلموا أنه سبب كل بلاء ،وأنه يوم الحساب يلقى في النار هو وجنوده ،فالله – سبحانه وتعالى- يصور لنا هذا المشهد الذي سيحصل يوم القيامة ،ويحذرنا مرةً أخرى من اتباع إبليس وجنوده ،وأنّ مصيرهم النار لا محاله ،ولو تأملنا الآيات التي تسبق هذه الآية في قوله تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ لتبين لنا ذلك، فكما حذرنا الله من إبليس في بداية الخلق حذرنا الله منه في نهاية الخلق ،فهو صاحب المعصية الأولى وقائد جنده في الضلال.

وأما الموضع الثاني: الذي لم يقترنفيه اسم إبليس ببداية الخلق فهو في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ٢٠]ففي هذه الآية ذكر اسم إبليس بعد أن أهبط الله آدم وحواء وإبليس على الأرض ،ففرح إبليس بهذا ، قال :"الحسن البصري: لما أهبط الله آدم من الجنة ومعه حواء، هبط إبليس فرحا بما أصاب منهما، وقال: إذا أصبت من الأبوين ما أصبت، فالذرية أضعف وأضعف. وكان ذلك ظنًا من إبليس، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ "[1]، فناسب أن يذكر هنا باسمه ،وذلك لأنه توعد بإضلالهم عندما عصى ربه وحاوره وقال: ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلا ﴾

[1] تفسير القرآن العظيم ، ج٦،ص٥١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

[الإسراء: ٦٢]، و قال: (١) ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾

[الأعراف: ١٧] ، والله أعلم .

كما يلحظ من الجدول السابق أن لفظة إبليس وردت في السور المكية أكثر منها في السور المدنية، ولعل هذا يفسر بأن العهد المكي كان بداية دعوة الناس إلى هذا الدين الجديد. ولا بد من تذكير الناس بقصة بداية الخلق، وقصة معصية إبليس لله يوم أمره بالسجود لآدم، ومن ثم بيان جزاء من يعصي أوامر الله. وبيان بأن الواجب هو الاعتبار والاتعاظ بما حصل من إبليس في عدم طاعته لله بالسجود لآدم، والابتعاد من سلوك هذا الطريق الذي سلكه إبليس، فناسب أن تكرر هذه الآيات في العهد المكي أكثر منها في العهد المدني، والله أعلم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢) التعريف والجمع في صورة الشيطان (الشياطين)

١. ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ {البقرة-١٠٢}.

٢. ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ {الأنعام-٧١}.

٣. ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ {الأنعام-١٢١}.

٤. ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ {الأعراف-٢٧}.

٥. ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ {الأعراف-٣٠}.

٦. ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ {الإسراء-٢٧}.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٧. ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ {مريم-٦٨}.

٨. ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ {مريم-٨٣}.

٩. ﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ {الأنبياء-٨٢}.

١٠. ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ {المؤمنون-٩٧}.

١١. ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ {الشعراء-٢١٠}.

١٢. ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴾ {الشعراء ٢٢١}.

١٣. ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ {الصافات٦٥}.

١٤. ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ {ص ٣٧}.

١٥. ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ {الملك٥}.

١٦. ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ {البقرة١٤}.

١٧. ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ {الأنعام١١٢}.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جدول إحصائي للفظة " الشياطين " الجمع المعرفة

اسم السورة	مكية أو مدنية [ك] أو [م]	رقم الآية	اللفظة	عدد ورودها في السورة
البقرة	م	١٤	شياطينهم	١
الأنعام	ك	١١٢	شياطين الإنس	١
البقرة	م	١٠٢	الشياطين	٢
الأنعام	ك	١٢١-٧١	=	٢
الأعراف	ك	٣٠-٢٧	=	٢
الإسراء	ك	٢٧	=	١
مريم	ك	٨٣-٦٨	=	٢
الأنبياء	ك	٨٢	=	١
المؤمنون	ك	٩٧	=	١
الشعراء	ك	٢٢١-٢١٠	=	٢
الصافات	ك	٦٥	=	١
ص	ك	٣٧	=	١
الملك	ك	٥	=	١
المجموع الكلي	المكي	١٥	١٨مرة	
	المدني	٣		

لعل الفرق بين صيغة المفرد المعرفة ، وصيغة الجمع المعرفة في لفظة " الشيطان " يظهر في أن الأخيرة تدل على من اتصف بصفات إبليس من الإنس والجن ، وليس بالضرورة أن يكون اللفظ مطلقا على ذرية إبليس من الشياطين وحسب . والحكمة من شمولية

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

اللفظة ، وإطلاقها على الجنسين هو تصوير من حاد عن دينه واتبع هواه ، وانتهج نهج إبليس في التكبر والعصيان والضلال والإضلال ، فأدق وأقرب صفة يمكن أن تشمل هذه المعاني هي صفة " شيطان " ، والجمع يدل على الكثرة ، وهذا يدل على كثرة ذرية إبليس، وكثرة من يتصفون بصفاتهم. وقد زاد عدد ذكر الشياطين في السور المكية، عنه في السور المدنية، لأن العهد المكي، كما أسلفت الذكر، كان يحكم ذلك، فبداية الدعوة كثر فيها المعارضون لدعوة الإسلام، وصاروا يفعلون فعل الشيطان في الصد عن دين الله، فصاروا، بذلك، أعوانا لإبليس، في الإغواء والإضلال، وكذلك فإن الأطراف التي جاءت مقترنة بالشياطين كانت جماعة كثيرة مثل الكافرين ،المبذرين ،أما قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ {الأنبياء-٨٢} فإن المقام يستدعي القوة وهذه تحتاج إلى كثرة، والله أعلم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣) التنكير والإفراد في صورة الشيطان (شيطان)

١. ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء ١١٧].

٢. ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [الحجر١٧].

٣. ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج٣].

٤. ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات٧].

٥. ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف٣٦].

٦. ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [التكوير٢٥].

جدول إحصائي للفظة " شيطان " بصيغة المفرد النكرة

اسم السورة	مكية أو مدنية [ك] أو [م]	رقم الآية	اللفظة	عدد ورودها في السورة
النساء	م	١١٧	شيطانا	١
الزخرف	ك	٣٦	=	١
الحج	ك	٣	شيطان	١
الصافات	ك	٧	=	١
التكوير	ك	٢٥	=	١
الحجر	ك	١٧	=	١
المجموع الكلي	المكي	٤	٦مرات	
	المدني	٢		

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يُعَدُّ التنكير من الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، وقد تعددت أغراضه وتنوعت في الآيات الكريمة بحسب سياقها، ومن هذه الأغراض الوحدة كما في قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿القصص-٢٠﴾ فجاءت لفظة (رجل) نكرة لتدل على الوحدة، وقد يأتي التنكير في القرآن الكريم لغرض التعظيم كما في قوله تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿البقرة-٢٧٩﴾ فجاءت لفظة (حرب) نكرة لتدل على عظم هذه الحرب لأنها من الله .

وقد جاءت لفظة الشيطان في القرآن الكريم في صورة المفرد النكرة؛ لتدل على التحقير لهذا المخلوق، وأنه ضعيف أمام المخلصين في عبادة الله؛ فهو مهين، لا يقدر على شيء، وإنما سلطانه على ضعفاء النفوس البعيدين عن الله. ومن أغراض تنكير الشيطان في القرآن الكريم تعميم الصفة؛ فكل من اتبع الشيطان في أفعاله؛ من الجن والإنس صار يوصف بأنه شيطان، والتنكير جاء ليبين أنه ليس شيطانا واحدا ،بل عدة شياطين من الإنس والجن، وجاء التحذير من أفعاله، فقد جاءت صفاته (مريد ، رجيم ، قرين) على وزن (فعيل)؛ وهي من صيغ المبالغة؛ لتدل على كثرة أفعاله الشائنة، وتكرارها ، حتى وصف بها.

مما سبق من الآيات والإحصاءات نلحظ أن لفظة "إبليس" لم تثنّ ولم تجمع، وفي المقابل، فإن لفظة الشيطان، بتصريفاتها، لم تُنكّر في حالة الجمع ولم تُثنّ. ولا بدَّ من تفسير لهذا الأمر، فبالعودة إلى كتب التفسير،وكتب السنة النبوية، لم نجد تعليلا أو إشارة تبين هذا الأمر، أو تعلله، ولم يشر إليها أحد من المفسرين_. وهذا أمر يحتاج إلى اجتهاد به، فلعل ذلك راجع إلى أن لفظة "إبليس" تطلق على المخلوق الذي خلقه الله من نار، ثم عصى الله بعدم

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سجوده لآدم ، فناسب أن يكون هذا الاسم خاصا به ، فالله خلق إبليس واحدا وجعل من ذريته شياطين، لكن الأصل واحد، وبما أنه واحد ولم يخلق الله مثله، فلا يُثنى أو يُجمع.

أما فيما يتعلق بعدم ورود لفظة " الشيطان " بتصريفاتها بصيغة المثنى ، لعل تفسير ذلك أن التحذير يأتي في القرآن الكريم ،إما من إبليس نفسه الذي وصفه الله بالشيطان،فيأتي التحذير منه بلفظ"الشيطان" المفرد المعرفة،وإما أن يأتي التحذير من ذريته مجموعة بلفظ"الشياطين –شياطينهم – شياطين " أو مفردة نكرة بلفظ" شيطان" ، فكان التحذير بهذه الصفات التي تدل على كثرة اتباع إبليس أبلغ من التحذير بصيغة المثنى التي لا تدل إلا على الاثنين ، فكما بيت سابقا أن كل كلمة استخدمت في كتاب الله كان موضعها هو المناسب لها ، فلا يمكن أن نستبدل كلمة بأخرى أو حتى بحرف غيره من الحروف، فقد اجتهد علماء اللغة والتفسير في تعليل كثير من استخدام ألفاظ القرآن وتركه لألفاظ أخرى ، فكان الجواب هو إثبات إعجاز هذا الكتاب، وأنه ليس من كلام البشر بل هو وحي يوحى كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ ﴿النجم- ٤﴾ .

ولم ترد لفظة " الشيطان " بصيغة الجمع النكرة؛ ذلك أن الشياطين من الإنس والجن هم من جنود إبليس ، فالتنكير لهم غير مناسب للتحذير منهم ، فكثير من الآيات تبين أن الشياطين هم من الجن والإنس ، فكان الجمع والتعريف أبلغ من الجمع والتنكير ، والله أعلم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثاني: الترادف في مفردات "الشيطان" :

١) قضية الترادف بين الإثبات والنفي:

لقد أذهلت بلاغةُ القرآن جهابذة العرب، وفصحاءهم، وبلغاءهم، فعجزوا عن الإتيان بمثله أو بآية واحدة مثل آياته. حتى إن الوليد بن المغيرة، وكان من أفصح العرب، وأبلغهم، وأحسنهم بيانا، قد قال في القرآن حين استمع إليه: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه.

والقرآن الكريم، بوصفه مهدا للبلاغة والإعجاز، ومنبعا لهما، حيثُ اللفظُ الدقيق الموحي، والمفضي إلى معانٍ جمّةٍ دقيقةٍ هي الأخرى، لا زيادة فيه ولا نقصان، ولا خلل فيه، ولا ضعف، بل إنه محكم أشدَّ الإحكام، ومتقن السبك والصياغة، من لدن حكيم عليم.

وقضية الترادف في القرآن الكريم من القضايا التي تعرض لها العلماء والمفسرون والباحثون، بين مؤيد لها ومدافع عنها، وبين معارض لها ومفند لكل ما جاء به المؤيدون من آراء.

الترادف، لغة: جاء في لسان العرب: باب (ردف): الرِّدف: " ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف، والجميع: الرُّدافى. والترادف هو ركوب أحد خلف آخر. يقال رَدِف الرجل وأردفه أي ركب خلفه، وارتدفه خلفه على الدابة. ورديفك: الذي يرادفك والجمع ردفاء وردافى. وردف كل شيء: مؤخره "[1].

---

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، ج٩ ، ص١١٤، مادة (ردف)

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وذكر ابن فارس " الراء والدال والفاء أصلٌ واحدٌ مطرد، يدل على اتباع الشيء.

فالترادف: التتابع، والردفان: الليل والنهار "[1].

وذكر الراغب الأصفهاني: " الردف: التابع، وردف المرأة عجيزتها،و الترادف: التتابع، والرادف: المتأخر، والمُردف: المتقدم الذي أردف غيره، قال تعالى: ﴿ فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ . "[2]

ولم يُستعمل مصطلح الترادف ، في باب إطلاقه على علاقة الألفاظ بالمعاني إلا في وقت متأخر ، وقد صرحت بعض المعاجم اللغوية بأنه لفظ ليس عربيا أصيلا ، بل هو من باب المولد من الألفاظ ، فقد جاء في القاموس المحيط : " والمترادف من القوافي : ما اجتمع فيه ساكنان . وأن تكون أسماء لشيء واحد ، وهي مولدة "[3] . وبمثل ذلك قال الزبيدي ؛ حيث ذكر في تاج العروس : " والمترادف : أن تكون أسماء لشيء واحد وهي مولدة ، ومشتقة من تراكب الأشياء"[4] .

---

(1) **معجم مقاييس اللغة** ، ابن فارس ، ج٢، ص ٥٠٤ .

(2) **المفردات في غريب القرآن** ، الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، د . ت ، باب (ردف).

(3) **القاموس المحيط** ، الفيروزآبادي ، ج٣ ، ص ١٤٤

(4) **تاج العروس من جواهر القاموس** ، الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ج٦، ص ١١٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقد ذكر الجرجاني في كتابه " التعريفات " بأن الترادف ما هو إلا " ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة ، وهو ضد المشترك ، أخذا من الترادف ؛ الذي هو ركوب أحد خلف آخر ، كأن المعنى مركوبٌ واللفظين راكبان عليه : كالليث والأسد "[1] .

وننتقل إلى تقصي آراء العلماء والأدباء واللغويين في الترادف ؛ بين مؤيدين ومعارضين ، وسنبتدئ بذكر الأقدمين ، مثبتين ، أولا ، ثم معارضين للترادف :

❖ **المثبتون للترادف من القدامى:**

١. سيبويه في كتابه " الكتاب " فيما جاء في تقسيمات الألفاظ في باب اللفظ ، إذ قال : " اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، ... ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ؛ نحو : ذهب وانطلق "[2].

وقد كان تقسيم سيبويه للألفاظ على هذا النحو يمتاز بالمنطقية ؛ إذ يختلف اللفظان باختلاف المعنيين ، وقد يختلف اللفظان ويكون المعنى واحدا ، وهذا ما يندرج تحت باب الترادف ، وقد يتفق اللفظان ويختلف ، مع ذلك، المعنيان ، وهذا هو النقيض للترادف . فنراه أثبت الوجهين ، ولم ينكر أحدهما . ثم يذكر لنا مثالا على اختلاف اللفظين واتفاق المعنى وهو : " ذهب وانطلق " . وقد عدَّ هذا المثال تجسيدا سليما لما يرمي إليه ، مع الاختلاف الكبير في المعنى الذي يحمله هذان اللفظان .

---

(١) التعريفات ، الجرجاني، علي بن محمد ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٥٣

(٢) الكتاب ، سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان ، تحقيق : عبد السلام هارون، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، د . ت ، ج١، ص ص ٧ – ٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. ابن خالويه ، الذي افتخر في أحد المجالس ، التي فيها أبو علي الفارسي ، بحفظه خمسين اسما للسيف ، إذ يروي أبو علي الفارسي هذه القصة : " كنت بمجلس سيف الدولة بحلب ، وبالحضرة جماعة من أهل العلم ، وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسما . فتبسم أبو علي وقال : ما أحفظ إلا اسما واحدا ، وهو السيف . قال ابن خالويه : فأين الصارم والمهند وكذا وكذا ؟ . فقال أبو علي : هذه صفات . وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة "[١].

وفي هذا تصريح مباشرٌ من ابن خالويه بالترادف في الألفاظ والاتفاق في المعاني ، وفيه أيضا منع صريح من أبي علي الفارسي للترادف ، فنراه يثبت الفروق بين الاسم والصفة.

❖ **المانعون للترادف من القدامى:**

١. الجاحظ فقد كان من أبرز المانعين للترادف ، إذ كان ذا قول جميل ودقيق في الترادف ، يثبت عكس ما قاله وأقره من سبقه في الترادف ؛ إذ يقول : " وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها ، وغيرها أحق بذلك منها . ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب ، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر ؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام . والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر

---

[١] المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي ، جلال الدين، ج١، ص ٤١٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطر وذكر الغيث . والجاري على أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال"[1] .

٢. أبو هلال العسكري كان من أكثر المتشددين الرافضين للترادف ، وقد ألف لأجل هذا كتابه " الفروق " ، مبتغيا من مؤلفه هذا إبطال هذه القضية وإلغاءها ، فهو يقول فيه : " الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة ، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعُرف ، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة ، وواضع اللغة حكيم ، لا يأتي فيها بما لا يفيد "[2] .

❖ **المثبتون للترادف من المحدثين:**

١. الدكتور إبراهيم أنيس الذي خلص إلى إثبات الترادف ، وكان متابعا برأيه آراء من سبقه من الأقدمين . إذ إنه لم يجد فرقا بين الألفاظ ، وأنه يمكن للألفاظ المتعددة أن تؤدي معنى واحدا.

٢. الدكتور محمود فهمي حجازي كان أكثر حرصا وتحرزا في إطلاق الترادف على الألفاظ ، إذ لم يجعله دالا على الألفاظ المختلفة ذات المعنى الواحد ، كما كان عند سابقيه ، من القدماء والمحدثين ، بل إنه خرج عن هذا بقوله بأن المعنى الحديث للترادف إنما هو في الألفاظ ذات الدلالات المتقاربة وليس في اتفاق المعاني

---

(١) البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج١ ، ص٢٠

(٢) الفروق في اللغة ، العسكري ، أبو هلال ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ـ لبنان ، ط٣ ، ١٩٧٩م ، ص٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذ إنه ليس بالضرورة أن يكون الترادف مقصودا بالألفاظ المختلفة ، بل إنه يقصد به الألفاظ المختلفة ذات الدلالات المتقاربة ؛ وربما كان هذا التعريف هو الأكثر دقة ، مما سبق من إثباتات للترادف ، فقد أخرج الترادف ، في تعريفه هذا ، من دائرة التعريفات للقدماء ، ومن تبعهم من المحدثين .

❖ **المانعون للترادف من المحدثين:**

وإذا انتقلنا إلى المانعين من المحدثين ، فلقد كان لبعض علماء القرآن واللغة والبلاغة دور في إبطال هذه القضية ، وعدم الأخذ بها ، ومن هؤلاء:

١. الشيخ محمد متولي الشعراوي ؛ إذ قال في كتابه " معجزة القرآن الكريم : " ليس هناك مترادفان ، وليست هناك ألفاظ لا تتسم بالدقة ، وليس هناك كلمة في غير موضعها "[1] .فهو يقرر بأنه لا يوجد كلمة أو لفظة في اللغة إلا ولها وظيفتها وموضعها الذي لا يمكن لأية كلمة أخرى أن تسد مسده ، أو أن تقوم بوظيفته ، حتى لو أوهمت بعض الألفاظ بأنها متوحدة المعنى ، مختلفة اللفظ ، فهذا كلام غير دقيق ، ولا يمكن الركون إليه ؛ إذ إن كل لفظة لها دلالتها ، ولها معناها الخاص ، وربما كانت كلمة أكثر بلاغة في إيصال المعنى من كلمة أخرى توازيها في المعنى ولا تتوحد معها.

٢ــ الشيخ الدكتور فضل حسن عباس من العلماء الذين وقفوا علمهم لدراسة القرآن الكريم ، دراسة تنطلق من جوانب متعددة ؛ تدرس القرآن : تفسيرا ، وبلاغة ، ولغة ، وإعجازا . وقد حاول أن يبطل قضية الترادف ؛ من خلال دراسته للقرآن الكريم ، فقد قال : " والذي نطمئن إليه ، وقد اطمأن إليه كثيرون قبلنا أن لا ترادف في كتاب الله تبارك وتعالى ،

---

(١) معجزة القرآن الكريم ، الشعراوي ، محمد متولي ، مكتبة دار التراث الإسلامي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨م ، ص ٤٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والكلمات التي ظنها بعض الناس مترادفة ، عندما ننعم النظر فيها ، نجد أن لكل منها معناه الدقيق "[1] .

وبعد هذا الاستقصاء لآراء العلماء والمفسرين ، بين قدامى ومحدثين ، مثبتين منهم ومانعين ، نستطيع القول بأن قضية الترادف قد نالت حظاً واسعاً من المناقشة وإبداء الرأي ، وقد تناولتها هذه الآراء ، وجعلتها على طاولة النقاش . ولكن لنا أن نقول إن قضية الترادف في اللغة عموماً ، وفي القرآن الكريم ، على وجه الخصوص ، قضية مرفوضة ، ولهذا الرفض ما يسوغه ، إذ القرآن الكريم ، بفصاحته المتناهية ، وبلاغته الفائقة ، لم تأت كلمة فيه إلا وقد استخدمت في موضعها المناسب لها ؛ بحيث لا تستطيع أية كلمة أخرى أن تحل محلها ، أو تقوم بوظيفتها ، " والطريق إلى ذلك إنما هو في تتبع الكلمة القرآنية ، ودورانها في الأسلوب البياني المعجز ، لمعرفة السياق الذي ترد فيه ، والألفاظ التي يغلب اقترانها بها ، وهذا يهدينا إلى ما تختص به من معنى "[2] .

فالسياق القرآني هو الذي يحكم معنى الكلمة ، ويوجهها في الاتجاه المناسب لها ، ولو عدنا إلى قول الجاحظ لأدركنا ذلك ، فقد قال : " وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها ، وغيرها أحق بذلك منها . ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب ، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر ؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام . والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث .

---

(1) إعجاز القرآن الكريم ، عباس ، فضل حسن ، المكتبة الوطنية ، عمان – الأردن ، ١٩٩١م ، ص١٧٥.

(2) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم ، الشايع ، محمد بن عبد الرحمن ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣، ص ١٧٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والجاري على أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال»[1] .

فالجاحظ ، بهذا القول ، يقرر أهمية السياق القرآني ، في توجيه معاني الألفاظ، ومعرفة دلالاتها ، فموضع العقاب هو السياق ، وذكر الجوع في ذلك الموضع هو بحكم السياق القرآني . ثم أوردَ مثالا على ذلك ، في الفرق بين المطر والغيث ؛ إذ السياق القرآني ، في موضع العقاب ، يُذكر فيه المطر ، فأينما ذكر المطر ، كان الموطن موطنَ عقاب ، والغيث يذكر في سياق الرحمة والطمأنينة ، فأينما ذكر الغيث كان الموطن موطنَ رحمة وطمأنينة. فلو كانت هناك مجموعة من الألفاظ متقاربة المعنى، أو كما يظن البعض ذات معنى واحد، لكان هناك ألفاظا هي أولى بالاستعمال من غيرها من الألفاظ، والحكم في ذلك كله هو السياق القرآني، والسياق الكلامي. والبلاغة في حسن اختيار الكلام، وتوجيه المقال ليناسب المقام.

٢) رأيي في الترادف:

لو أنعمنا النظر في كل الآراء السابقة الذكر ، والتي تنبع كلها من منبعين ، التأييد والمعارضة ، لوجدنا أن لقضية الترادف أهمية عظمى أشغلت العلماء والمفسرين والبلاغيين منذ أمد بعيد حتى يومنا هذا . والمدقق في الألفاظ ، التي يظن كثير ممن ذكرناهم سابقاً أنها ذات معنى واحد ودلالة واحدة ، يجد أن هناك فروقا كبيرة بين هذه الألفاظ ، يكون في المعنى المتحصل من هذه الألفاظ ، فكلمة " مطر " ، كما ذكرنا آنفا ، تختلف في الدلالة عن كلمة "

---

[1] البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج١، ص٢٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

غيث " ، مع أن المعنى إذا كانت الكلمتان في موطن تكون كل منهما منفردة ؛ أي ليست في جملة ، يكون المعنى واحدا ، لكن السياق الكلامي يكسب اللفظة معنى جديدا ذا دلالة أكثر عمقا وأبلغ تعبيرا في إيصال المراد من الكلام.

وعليه ، فإن قضية الترادف قضية تنقض من أصلها ، فلا ترادف في اللغة ، ولكل كلمة معناها السياقي والدلالي المختلف ، حتى لو كانت هناك كلمتان تنتميان إلى الحقل الدلالي ، فإنهما على ذلك ، ولكن في وضع منفرد ، فالدلالة تختلف باختلاف السياق.

وعمدة الاختيار تقع على القائل ، أو المتكلم ، إذ عليه أن يأتي بالكلمة المناسبة في السياق المناسب ، فلا يظن ظان أن كلمة مقاربة لها في المعنى قد تحل محلها ، فالمتكلم أعلم بالسياق الذي يأتي فيه بما يناسبه من ألفاظ مناسبة .

وقد قال علي زوين في ذلك : " لا يمكن أن تحل كلمة مكان أخرى ، في سياق معين ، فتؤدي وظيفتها اللغوية والعقلية والعاطفية أداء تاما ، ولكن بالإمكان أن تحل كلمة مكان أخرى ، فتؤدي معناها نسبيا ضمن مفهوم (المعنى المركزي) ، وهو المعنى المعجمي المستقر نسبيا أيضا في الذهن عند الجماعة اللغوية "[1].

وعليه فإن كل من قال بالترادف لم يدرك الأسرار الدلالية والبلاغية ، في استخدام لفظة دون أخرى ، وليس أدل على ما نرمي إليه من قول الباقلاني ؛ واصفا بلاغة القرآن ، وإعجازه ، وبيانه الدقيق : " هو أدق من السحر ، وأهول من البحر ، وأعجب من الشعر ، وكيف لا يكون ذلك ، وأنت تحسب أن وضع " الصبح " في موضع " الفجر " يحسن في كل كلام إلا أن يكون شعرا أو سجعا ، وليس كذلك ، فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع ،

---

(1) المجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة ، زوين، علي، مجلة آفاق عربية ، ع١، كانون الثاني ١٩٩٢م ، ص ٨٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى ، بل تتمكن فيه ، وتضرب بجرانها ، وتراها في مظانها ، وتجدها في غير منازعة إلى أوطانها ، وتجد الأخرى لو وُضعت موضعها في محل نفار ومرمى شراد ، ونابية عن استقرار "[1] .

وإننا إذ نتحدث عن السياق في ضبط فروقات الألفاظ المتقاربة المعاني ، أو المتحدة المعاني ، على السبيل المعجمي ، فإنه لا بد بنا أن نتحدث عن نظرية النظم القرآني ، إذ إن عبد القاهر الجرجاني قد أبدع في وضع القواعد التي تحكم السياق الكلامي ، فلقد كان متحفظا على قدرة الألفاظ مجتمعة أن تعطي نفس المعنى في ذات السياق ، فهو قد نفى ذلك ، بل إن كل لفظة لا بد أن يكون لها سياقها المناسب ومعناها الدقيق ، ونراه يتحدث عن إعجاز القرآن وهو الذي أعجز العرب بأن يأتوا بمثل تلك الميزات التي " ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها ، ومجاري ألفاظها ، ومواقعها ، وفي مضرب كل مثل ، ومساق كل خبر ، وصورة كل عظة وتنبيه ، وإعلام وتذكير ، وترغيب وترهيب ، ومع كل حجة وبرهان ، وصفة وتبيان . وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة ، وعشرا عشرا ، وآية آية ، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو مكانها ، ولفظة ينكر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه ، أو أحرى أو أخلق ، بل وجدوا اتساقا بهر العقول ، وأعجز الجمهور ، ونظاما والتئاما ، وإتقانا وإحكاما "[2] .

وكل ذلك يظهر من بعض الكلمات التي تتعلق بالشيطان في القرآن الكريم التي يظن أنها مترادفة.

---

[1] إعجاز القرآن ، الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب ، تحقيق: أحمد صقر ، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط٣ ، ١٩٧١م ، ص ١٨٤ .

[2] دلائل الإعجاز ، الجرجاني، عبد القاهر ، ص٣٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٣)ما يتوهم ترادفه في ألفاظ "الشيطان" :

هناك كلمات وردت ، على وجه الخصوص ، في صورة الشيطان في القرآن الكريم ، أوهمت ، لتشابهها ، بعض من يقرؤها بأنها مترادفة ، وذات معنى واحد ، لكنّ المتأمل لا يخفى عليه مدى الاختلاف الذي تحمله كل كلمة أو كل لفظة في القرآن الكريم ، إذ كل كلمة لها معناها ومدلولها الخاص ، وسأورد بعض الكلمات التي وقع فيها اللبس ؛ وهي:

❖ **مارد ، مريد :**

قال سبحانه : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات٧].

: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج٣].

: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء ١١٧].

فلفظتا (مارد ومريد) توهمان بأنهما متشابهتان في المعنى لتشابههما في اللفظ، لكن من يتأمل هاتين اللفظتين يجد أن كلمة (مارد) اسم فاعل ، وكلمة (مريد) صيغة مبالغة ، هذا الاختلاف الأول الذي يفضي إلى الاختلاف الكبير في المعنى ؛ إذ اسم الفاعل تدل على وقوع الفعل من الفاعل على سبيل العادية وعدم مواصلة الحدث، إذ ليس كل شيطان ماردًا . لكن في قوله تعالى (مريد) فهذه صيغة تدل على الثبوت ومواصلة حدوث الفعل على سبيل الديمومة، وتدل كذا الأمر على كثرة حدوث الفعل.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

❖ (الوسواس ، الخنّاس) :

ومن الصفات التي اتصف بها إبليس صفتا الوسواس الخناس ، فلم ترد هاتان اللفظتان بهذه الصيغة إلا مرة واحدة في سورة الناس، في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ ﴿الناس٤﴾.

لقد اقترنت صفتا الوسوسة والخنس بالشيطان ؛ وذلك لمداومة اقترافه لهما، فهو دائم الوسوسة والخنس. والوسوسة في اللغة: " وسوس الشيطان إليه وله وفي صدره وسوسة، ووسواسا: حدثه بما لا نفع فيه ولا خير. ويقال: وسوست النفس . وتكلم بكلام خفي مختلط لم يبينه. والوسواس : الشيطان "[1]. أما الخنس في اللغة فيقال: " (خنس) خنسا و خنوسا و خناسا تأخر و يقال خنس الطريق عنهم جازوه و خلفوه وراءهم و خنس فلان من بينهم و خنس فلانا أخره (لازم و متعد) و الرجل تخلف و توارى و يقال خنس به واراه و خنس به غاب به و خنس الكوكب توارى فهو خانس (ج) خنس و النخلة تأخرت عن قبول التلقيح و من ماله أخذ و إصبعه قبضها . و(الخناس): الشيطان "[2]. وتوهم هاتان الكلمتان بأنهما مترادفتان ، لكن بعد الترادف بينهما لاختلاف الدلالة والمعنى المعجمي فيهما .

❖ (إبليس والشيطان):

فقد يتوهم بأنه لا فرق بين لفظتي (الشيطان) و (إبليس) وأن كلا منهما تعني الآخرى ، وهذا الوهم غير صحيح ،وذلك كما أسلفنا الذكر في التعريف[3] ، والتي يظن كثير من الناس بأنها اسم لإبليس: (الشيطان) ، بالإفراد والتعريف، إذ هي صفة من

---

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص ١٠٣٣

(٢) المرجع السابق، ج١، ص ٢٥٩

(٣) انظر التمهيد ص١٥ إلى ٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

صفاته وليست اسما له، فأينما ذكرت في القرآن الكريم بهذه الصيغة كان المقصود بها إبليس ليس غير.

❖ (الشيطان الرجيم):

ومن الألفاظ التي يتوهم بأنها مرادفة للشيطان لفظة "الرجيم"

فلفظة الشيطان سبق الحديث عنها وبينا أنها صفة لإبليس وليست أسما له،أما لفظة "الرجيم" لو رجعنا إلى المعنى اللغوي لهذه الكلمة لوجدنا أنها تدل على عدة معان: (الرمي، الملعون، والمشتوم ، والطرد)؛ ففي لسان العرب: " الرجيم أي المرجوم بالكواكب ، صرف إلى فعيل من مفعول ، وقيل : رجيم ملعون مرجوم باللعنة مبعد مطرود ، وهو قول أهل التفسير ، قال : ويكون الرجيم بمعنى المشتوم المسبوب من قوله تعالى : ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ أي لأسبنك "[1].

والأصل في الرجم هو:" رَمِيٌ بالحِجارة ،و الشَّيْطَان الرَّجِيم أي : المَلْعون المَرْجوم باللَّعْنَة " [2] . "وقال: الرجم: اللعن، ومنه الشيطان الرجيم أي المرجوم بالكواكب: وقيل رجيم : مرجوم باللعنة ، مبعد مطرود، وهو قول أهل التفسير، قال: ويكون الرجم بمعنى المرجوم المشتوم المسبوب،...، وقد ورد الرجم بمعنى الهجران والطرد والظن."[3]

فقد أطلقت صفة الرجيم على الشيطان صفة ثانية لتدل على أنه مطرود من رحمة الله ، ولأنه مشتوم ومسبوب وأطلقت كذلك على ذريته لأنهم يرجمون بالشهب عندما يحاولون

---

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، ج١٢، ص٢٢٧، مادة (ر ج م).

(2) تاج العروس ، الزبيدي ، ج٣٢، ص٢١٩.

(3) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة ، عبيدات ، عبد الكريم نوفان فواز ، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع ، الرياض، ط٢ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ص٤٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

استراق السمع . من خلال هذه المعاني تبين لنا أن لفظة الرجيم التي اتصف بها إبليس تتنوع دلالاتها في الآيات بحسب سياق الآية التي سيقت بها ،فقد جاءت لفظة الرجيم مقترنة بالفظة الشيطان في أربع مواضع وجاءت في موضعين اثنين جاءت في سياق الحوار مع الشيطان، ودلالة ذلك – والله أعلم – إظهار غضب الله عليه بوصفه بهذه الصفات المتتالية ،ولا يعد تكرار هذه الألفاظ من الترادف .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثالث :الشيطان وذريته، صفاتهم وأفعالهم :

أولا : صفات الشيطان :

ليس من الغريب أن تكثر الصفات التي تصف إبليس اللعين ، ولم يكن ذلك مفاخرةً له ، بل إن كل صفة كانت تعبر عن عمل من أعمال إبليس أو ذريته أو أتباعه. فجاءت هذه الصفات لإبليس لتوصل لنا مدى القيمة السلبية التي يحملها ، والتي تكفي لتكون تحذيرا من اتباعه وانتهاج سبيله الهادي إلى الضلال.

ولم يكن لإبليس اسم سوى هذا الاسم، أما ما كان من ذكر للشيطان أو غيرها من الألفاظ، فما هي إلا صفات اتصف بها إبليس : كالشيطان، والرجيم، والمارد، والمريد، والقرين، والوسواس، والخناس وغيرها من الصفات. مع الإشارة إلى أن أكثر صفة لازمت إبليس وأغنت عن ذكره في كثير من المواطن هي صفة " الشيطان ". ومن هذه الصفات التي اتصف بها إبليس:

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

❖صفة: (الشيطان)

وهي من أكثر الصفات وروداً كما بينا ذلك في إحصائية لفظة الشيطان [1] فإذا وردت في القرآن الكريم بالتعريف والإفراد فهي تعني إبليس ،وقد أطلقت عليه هذه الصفة عندما عصى ربه، ولِمَا تحمله هذه الصفة من معاني البعد عن الحق والتمرد ناسب أن يكون هذا الوصف مطابقاً له، ومن الآيات التي وردت فيها هذه الصفة قول الله تعالى :

١. ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ {البقرة٣٦}.

٢. ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الاعراف٢٠].

٣. ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف٢٢].

٤. ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف٢٧].

---

[1] انظر الجدول في المبحث الأول ص١٢٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٥. ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ [الإسراء٦٤].

٦. ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً ﴾ [مريم٤٤].

٧. ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ [طه١٢٠.]

فالقارئ غير المتعمق لهذه الآيات ومثلها، مما ذكر فيه " الشيطان "، يظن أن لفظة " الشيطان "ما هي إلا اسم لإبليس، وقد أشرت إلى ذلك في المبحث السابق ، فمن يتأمل الآيات يجد أن الشيطان هو ذاته إبليس، وهي صفة من أبرز صفاته. فالسياق القرآني يدلنا على ذلك؛ فالشيطان الذي وسوس لآدم وحواء أن يأكلا من الشجرة هو إبليس، والشيطان الذي دل آدم على الشجرة ليأكل منها هو وزوجه هو إبليس، والشيطان الذي أخرج آدم وحواء من الجنة هو نفسه إبليس، والشيطان الذي حذر منه إبراهيمُ أباه هو إبليس نفسه بدلالة أنه ذكر أن الشيطان كان للرحمن عصيا يذكر بقصة عصيانه في عدم السجود لآدم.

❖ الصفتان: (مارد ومريد)

ومن الصفات التي وردت في وصف ذرية إبليس: (مارد ومريد) ؛ فقد وردتا في قوله تعالى:

١. ﴿ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات٧].

٢. ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج٣].

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

٣. ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ [النساء ١١٧].

نلحظ أن هذه الصفات لم تأت إلا مع لفظة "شيطان" النكرة ، وهي تفيد عموم ذرية إبليس ، ومن اتبعه من الإنس والجن فجاء هذا الوصف مطابقا لكل من تمرد وطغى ، وخرج عن طاعة الله، فهي في كل آية جاءت لتختلف عن سابقتها في الوصف ، ففي الآية الأولى جاءت الصفة على وزن "اسم الفاعل" وهي لفظة "مارد" لتدل على كثرة التمرد، بينما جاءت الصفة في الآية الثانية والثالثة،على وزن "فعيل " وهي صفة مشبهة وهي لفظة أشد تمردا من الأولى ، فمن هذا يتبين لنا أن لكل صفة مدلولها الخاص الذي يظهر من خلال السياق القرآني.

❖ الصفتان: (الوسواس الخناس)

ومن الصفات التي اتصف بها إبليس صفتا الوسواس الخناس ، فلم ترد هاتان اللفظتان بهذه الصيغة إلا مرة واحدة في سورة الناس، في قوله تعالى:﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ ﴿الناس٤﴾.

ولقد جاءت صفتا "الوسواس الخناس" لتدل على صفات الشيطان ؛ وذلك لمداومة اقترافه لهما، فهو دائم الوسوسة والخنس. والوسوسة في اللغة: " وسوس الشيطان إليه وله وفي صدره وسوسة، ووسواسا: حدثه بما لا نفع فيه ولا خير. ويقال: وسوست النفس . وتكلم بكلام خفي مختلط لم يبينه. والوسواس : الشيطان "[1]. أما الخنس في اللغة فيقال: " (خنس) خنسا و خنوسا و خناسا تأخر و يقال خنس الطريق عنهم جازوه و خلفوه وراءهم و

[1] المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، ج٢، ص ١٠٣٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

خنس فلان من بينهم و خنس فلانا أخره (لازم و متعد) و الرجل تخلف و توارى و يقال خنس به واراه، و خنس به غاب به و خنس الكوكب توارى فهو خانس، والجمع خنّس، و النخلة تأخرت عن قبول التلقيح ،و من ماله أخذ و إصبعه قبضها . و(الخناس): الشيطان »[1]

❖ صفة (الرجيم):

فقد تكرر ذكرها في القرآن الكريم في ست آيات ، قال تعالى:

١. ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [ال عمران-٣٦].

٢. ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [الحجر-١٧].

٣. ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ [الحجر-٣٤].

٤. ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل-٩٨].

٥. ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ [ص-٧٧].

٦. ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [التكوير-٢٥].

ففي كل آية من الآيات السابقة تأتي صفة (الرجيم) لتناسب السياق الذي وردت فيه ،وقد جاءت بعدة معان، كما بيت في المبحث السابق.(٢)

---

(١) المرجع السابق، ج١، ص ٢٥٩

(٢) انظر ص١٣٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

ثانيا: أفعال الشيطان

من يبحث في القرآن الكريم عن صورة إبليس اللعين يجدْ أن الله سبحانه وتعالى قد وصفه بكثير من الصفات التي كان من ملازماته، وهي الشيطان، والوسواس، والخناس، ... إلى آخر تلك الصفات التي تبين مدى ضلاله، وغوايته، ووظيفته في إضلال وإغوائهم غيره، وكل صفة في الآيات تستقل بمعناها، وتختلف بدلالتها باختلاف السياق القرآني الذي وردت فيه.

وقد أسند الله تعالى إلى إبليس ، كذلك، أفعالا كان يقوم بها من أجل إيفاء وعده بإغواء من استطاع أن يغويه من خلق . وقد تنوعت هذه الأفعال، من حيث الزمن، بين الزمن الماضي والمضارع والأمر . وكان لكل منها دلالة ومعنى.

وسأورد الآيات التي احتوت هذه الأفعالَ ، وسأقوم بالتعليق على كل فعل من هذه الأفعال التي اقترنت بالشيطان:

❖ الفعل : { زلَّ } وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ {البقرة٣٦}.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ {آل عمران١٥٥}.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

جاء في تاج العروس: " أَزَلَّهُما في الرَّأْيِ ، وقيلَ حَمَلَهما على الزَّلَلِ ، واستَزَلَّهُ ، ومنه قولُه تعالَى : ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾، قيل : أي طَلَبَ زَلَّتَهُمْ . ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ استَزَلَّ ﴿ الشَّيْطَانُ ﴾ آدَمَ وَحَوَّاءَ أَيْ دَعَاهُمَا إِلَى الزَّلَّةِ: وَقَرَأَ حَمْزَةُ: فَأَزَالَهُمَا، أَيْ نَحَّاهُمَا"[1] وجاء في المعجم الوسيط: " زلَّت قدمه زلاً وزلولا: زلقت . ويقال: زل في منطقه ورأيه: أخطأ. وأزله: أزلقه. استزله: أزله . واستدرجه إلى الزلل " [2].

ففي الآية الأولى ورد الفعل" فأزلهما " وهي من أفعال إبليس الشنيعة ، فاقترنت الفاء بالفعل لتدل على الترتيب والتعقيب والسرعة ، فبعد أن زحزحهما أخرجهما مما كانا فيه من النعيم. ومن الأعمال التي يقوم بها الشيطان الإزلال والاستزلال ، وهي على الوجهين ، وقد أتى الفعلان في موضعين مخصوصين ، ولم يتكررا في غيرهما من الآيات . وفعل الإزلال الأول ارتبط بقصة آدم قبل أن يهبط إلى الجنة، والفعل يوحي ، من معناه اللغوي ، بالانزلاق من مكان إلى مكان أدنى ، أو بالأحرى من مكان إلى مكان ، وقد كان هذا حينما أغوى إبليس اللعين آدم وزوجه عندما كانا في الجنة ، والإزلال فعل مناسب لهذا الموطن ، فقد كانا في مكان مرتق منعم ، هو الجنة ، والشيطان أزلقهما منه بوسوسته وإغوائه ، فكانت النتيجة أن أهبطهم الله جميعا إلى الأرض . أما الفعل (استزل) فهو ذاته الفعل (زل) لكن حروف الزيادة زادت في معناه ، فكل زيادة في المبنى زيادة في المعنى . فهناك في الآية الأولى بعد أن وسوس لهما الشيطان أزلهما ، فسبقت الإزلال وسوسة ، فكان بمثابة التدرج الذي وصل إلى الإزلال . أما الاستزلال ، فهو تدرج بالفعل ذاته ، تدرج في الإغواء والإضلال عن الحق.

---

(1) تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، ج٢٩، ص١٢٩.
(2) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، ج١، ص ٣٩٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول الشعراوي: " وعندما نقرأ كلمة ﴿ اسْتَزَلَّهُمُ ﴾ لنعرف أن (الهمزة والسين والتاء) للطلب، تطلب ما بعدها، مثل: استفهم أي طلب الفهم، ...، و " استَزَلَّ " يعني طلب الزلل، ومعنى " الزَّلل " هو العثرة والهفوة، أي أن الإنسان يقع في الغلط، إذن فالشيطان طلب أن يزلوا، ﴿ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ ، كأن الشيطان لا يجترئ على أن يستزل أحداً ممن آمن إلا إذا صادف فيه تحللاً من ناحية، لكن الذي ليس عنده تحلل لا يقوى عليه الشيطان، ساعة يأتي الإنسان ويعطي لنفسه شهوة من الشهوات فالشيطان يرقمه ويضع عليه علامة ،ويقول: هذا ضعيف، هذا نقدر أن نستزلّه. لكن الذي يراه لا يطاوع نفسه في شيء من التحلل لا يقترب ناحيته أبداً"[1]. فالفعلان ليسا بدلالة واحدة، مما يوهم بترادفهما، بل لكل منهما دلالة مستقلة يحكمها السياق، وينبع منه معنى جديد ودلالة جديدة.

❖ الفعل: { وعد } وقد ورد في قوله تعالى:

١. ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة٢٦٨}.

٢. ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ {النساء١٢٠}.

٣. ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم٢٢].

---

(1) تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، محمد متولي ، ج٣ ، ص ١٨٣٠-١٨٣١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٤. ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ [الإسراء٦٤].

لفظ الوعد في اللغة: " وعده الأمر، وبه وعدا وموعدا: منّاه "[1]. وفي الوعد معنى الإلزام، وفيه معنى الخير؛ إذ يكون الوعد بالخير، والوعيد بالشر. وهنا تكمن المفارقة في هذه الآيات، والإيهام بالترادف، بين المعنى الأصلي للوعد، وبين وعد الشيطان. إذ الوعد قد صدر من الشيطان، وهو في ظاهر الأمر، وعد بالخير منه لمن سيغويهم، لكن ما وعد الشيطان إلا من باب الغرور والإغواء ليس غير، وهو ، أي الشيطان، يؤكد أنه يعد ويخلف، إذ يقول سبحانه على لسانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ .

وقد ورد في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة٢٦٨}. :" فيه ثلاث مسائل :

الأولى : – "يعدكم" معناه يخوفكم "الفقر" أي بالفقر لئلا تنفقوا. فهذه الآية متصلة بما قبل ، وأن الشيطان له مدخل في التثبيط للإنسان عن الإنفاق في سبيل الله ، وهو مع ذلك يأمر بالفحشاء وهي المعاصي والإنفاق فيها. وقيل : أي بأن لا تتصدقوا فتعصوا وتتقاطعوا.

الثانية : – قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾ الوعد في كلام العرب إذا أطلق فهو في الخير ، وإذا قيد بالموعود ما هو فقد يقدر بالخير وبالشر كالبشارة. فهذه الآية مما

[1] المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج٢، ص ١٠٤٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقيد فيها الوعد بالمغفرتين جميعا. قال ابن عباس : في هذه الآية اثنتان من الله تعالى واثنتان من الشيطان،

الثالثة : – ذكر النقاش أن بعض الناس يأنس بهذه الآية في أن الفقر أفضل من الغنى ؛ لأن الشيطان إنما يبعد العبد من الخير ، وهو بتخويفه الفقر يبعد منه "(١).

وأمر الشيطان بالفحشاء في الآية الأولى يقصد به البخل كما قال كثير من العلماء بذلك "ويرى كثير من العلماء أن المراد بالفحشاء في الآية البخل الشديد، فإن كلمة الفاحش تطلق في لغة العرب على البخيل الشديد البخل ، ومن ذلك قول طرفة بن العبد:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ***** عقيلة مال الفاحش المتشدد*"(٢)

أما أمر الشيطان بالفحشاء في الآية الثانية يقصد به الزنى والمنكر من القول يقول الطبري:" فإن الشيطان يأمر بالفحشاء، وهي الزنى، والمنكر من القول"(٣).

فإن المتأمل في هاتين الآيتين السابقتين ، يجد أن هناك توافقا في لفظتي: ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء ﴾ ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ﴾ ولكن عندما رجعت إلى أقوال المفسرين وجدت أن كلا منهما لها دلالة تختلف عن الأخرى ، فجاءت دلالة كل لفظة تناسب المقام الذي سيقت لأجله ، وهذا من بديع القرآن الكريم وإعجازه.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج٣، ٢٢٩

(٢) التفسير الوسيط ، طنطاوي ، محمد سيد ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ج١، ص٦١٧ .

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري ، محمد بن جرير ، ج١٩ ، ص ١٣٤١

*لم أجد البيت الذي ذكرته في متن البحث بنصه في ديوان طرفة ،وقد عدت إلى الديوان فوجدته على النحو التالي:
أرى الموت لا يرعى على ذي جلالة***وإن كان في الدنيا عزيزا،بمقعد
شرح الشنتمري، تحقيق :دُرّية الخطيب،لطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق،١٩٧٥م،ص١٥٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يقول الشعراوي: " وقوله تعالى ﴿ وَعِدْهُمْ ﴾ أي: مَنِّهم بأمانيك الكاذبة، كما قال سبحانه في آية أخرى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٦٨] . وقوله: ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ [الإسراء: ٦٤] أي: لا يستطيع أن يَغُرَّ بوعوده إلا صاحب الغِرّة والغفلة، ومنها الغرور: أي يُزيّن لك الباطل في صورة الحق فيقولون: غَرَّهُ. وأنت لا تستطيع أبداً أن تُصوّر لإنسان الباطل في صورة الحق إلا إذا كان عقله قاصراً غافلاً؛ لأنه لو عقل وانتبه لتبيَّن له الحق من الباطل، إنما تأخذه على غِرَّة من فكره، وعلى غَفْلة من عقله.

وهذه وساوس لا يُصدّقها إلا مَنْ لديه استعداد للعصيان، وينتظر الإشارة مجرد إشارة ،فيطيع، ويقع فريسة لوعود كاذبة، فإنْ كان يوم القيامة تبرّأ إبليس من هؤلاء الحمقى، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]"[1].

فالسياق القرآني قد أخرج لفظة الوعد من معناها الأصلي إلى معانٍ متعددة اختلفت بدلالتها عن المعنى المعجمي، وذلك لاختلاف السياق، وهذا يؤكد ما أوردته آنفا بأن السياق يخرج الألفاظ من باب الترادف.

---

[1] تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، محمد متولي ، ج١٤، ص ٨٦٦٦ - ٨٦٧٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

❖الفعل: { ألقى } وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج٥٢].

٢. ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [الحج٥٣].

الإلقاء، في اللغة، " ألقى الشيء: طرحه . وألقى عليه القول: أملاه. وألقى الله الشيء في القلوب: قذفه " [1]. والإلقاء عادة لا يكون من جنس المُلقى فيه، والفتنة والإغواء والإضلال، التي هي من بضاعة الشيطان ومن أفعاله، ليست من أصل الإنسان ولا من جبلته، بل هي طارئة عليه، بفعل من التدرج من الشيطان اللعين في إغواء ذوي النفوس الضعيفة، فأي قلب مؤمن لا يستطيع الشيطان أن يلقي فيه شيئا من غوايته. وقد حاول الشيطان أن يلقي مصائد غوايته في قلوب الرسل، لكن الله كان له بالمرصاد؛ إذ لا يلبث أن يلقي الشيطان غوايته، حتى ينسخ الله ما يلقيه، ويزيله من أصله.

ولا بد من ذكر كلام القرطبي الذي يقع في صميم الحديث عن فعل الإلقاء من الشيطان؛ إذ يقول: " قوله تعالى : ﴿تَمَنَّى﴾ أي قرأ وتلا. و ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي قراءته وتلاوته ، ... ، وقد قال سليمان بن حرب : إن "في" بمعنى عنده ؛ أي ألقى الشيطان في

---

[1] المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، ج٢، ص ٨٣٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

قلوب الكفار عند تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كقوله عز وجل : ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا﴾ [الشعراء: ١٨] أي عندنا.

وهذا هو معنى ما حكاه ابن عطية عن أبيه عن علماء الشرق ، وإليه أشار القاضي أبو بكر بن العربي ، وقال قبله : إن هذه الآية نص في غرضنا ، دليل على صحة مذهبنا ، أصل في براءة النبي صلى الله عليه وسلم مما ينسب إليه أنه قاله ؛ وذلك أن الله تعالى قال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي في تلاوته. فأخبر الله تعالى أن من سنته في رسله وسيرته في أنبيائه ،إذا قالوا عن الله تعالى قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه كما يفعل سائر المعاصي. تقول : ألقيت في دار كذا، وألقيت في الكيس كذا ؛ فهذا نص في الشيطان أنه زاد في الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم ، لا أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم به.

وأما غيره من التأويلات فما حكاه قوم أن الشيطان أكرهه حتى قال كذا فهو محال ؛ إذ ليس للشيطان قدرة على سلب الإنسان الاختيار ، قال الله تعالى على لسان إبليس: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] "[1].

❖ الفعل: { وسوس } وقد ورد في قوله تعالى :

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه١٢٠.]

(1) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، ج١٢، ص ٧٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

الوسوسة: " وسوس الشيطان إليه وله وفي صدره وسوسة، ووسواسا: حدثه بما لا نفع فيه ولا خير. ويقال: وسوست النفس . وتكلم بكلام خفي مختلط لم يبينه. والوسواس : الشيطان "[1]. وقد قال الأعشى في معلقته المشهورة:

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت **** كما استعان بريح عشرق زجلُ[2]

فهي تعني الكلام الخافت الذي يقال في الخفاء، وهذا يخرج اللفظة من باب الترادف ، إذ تختلف دلالتها ومعناها باختلاف السياق الكلامي. وإنه ليتصور في أذهاننا أن الوسوسة في الآية كلام لا يقال على العلن، وفي الملأ، بل إن قائله يقوله وسوسة خوفا من افتضاح أمره، وهذا ما كان في الآية الأولى؛ فقد أغرى إبليس آدم عليه السلام ، حينما أوقع في صدره حب الشجرة والأكل منها، وكان هذا بوسوسته وإغوائه ، حتى انصاع آدم وحواء لرغبتي نفسيهما ،ولإغراء الشيطان، فأكلا من الشجرة ، فكانا من النادمين. وقد كان الفعل في الماضي ، أما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[الناس٥] فالفعل يدل على المضارع، والاستمرار، وهذا ديدن الشيطان، إذ إنه يوسوس في صدور الناس الغواية والضلال، حتى يوم القيامة ، وهذا بوعد منه له بأنه سيكون من المنظرين حتى يغوي من استطاع أن يغويه من الناس، إلا عباد الله المخلصين.

---

(1) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، ج٢، ص ١٠٣٣

(2) ديوان الأعشى ، شرحه وظبط نصوصه وقدم له:عمر فاروق الطباع،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت١٩٩٧م، ص١٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

❖ الفعل: { أنسى } وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف٦٣].

٢. ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة١٩].

٣. ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف٤٢].

النسيان: الترك على ذهول وغفلة، وأنساه أي حمله على تركه أو على نسيانه[1]. والشيطان يبحث عن كل ما يجعل الإنسان غافلا عن ذكر الله، وعما فيه مصلحة الإنسان في دينه ودنياه، فهو ينسي ضعيفي النفوس ذكرَ الله واتباع سبيله، فيمسون من حزب الشيطان وأوليائه. وقد ارتبط فعل (الإنساء) وهو من النسيان، بذكر الله؛ فقد قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ ، وورد مرة واحدة غير مرتبط بذلك، وهو عندما أنسى الشيطان غلامَ موسى الطعام بجانب الصخرة. وقد كان هدف الشيطان في كل هذا وذاك إغواء الناس، وإبعادهم عن درب الحق ،وعن ذكر الله حتى يحقق وعده ،وينشر الفساد في النفوس. وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فأنساه الشيطان

(1) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، ج٢، ص ٩٢٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذكر ربه ﴾: " لما ظن يوسف، عليه السلام، نجاة أحدهما -وهو الساقي -قال له يوسف خفية عن الآخر- والله أعلم-، لئلا يشعره أنه المصلوب قال له: ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ يقول: اذكر قصتي عند ربك - وهو الملك - فنسي ذلك الموصَى أن يُذَكِّر مولاه بذلك، وكان من جملة مكايد الشيطان، لئلا يطلع نبي الله من السجن "[1].

❖ الفعل: { زَيَّن } وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل٦٣].

٢. ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل٢٤].

٣. ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [العنكبوت٣٨].

٤. ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ {الأنعام٤٣}.

٥. ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال٤٨].

---

[1] تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، ج٤، ص ٣٩١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التزيين: تجميل الصورة في النفس وتنميقها، حتى تحسن، وتستميل إليها، ففعل التزيين في الآيات السابقة، التي ورد فيها الفعل، كان من الوسائل التي اتخذها الشيطان للغواية، فكان من طبيعته يحاول أن يجمل السيئ من العمل ،وينمقه حتى يحسن في نفس ضعيفي النفوس ويعملوه، ولكنه يتخلى عنهم بعد ذلك ،ويدعهم غارقين في إثمهم الذي يتجلى سوؤه وقبحه بعدما يقع فيه الإنسان ويرتكبه. وعندها يتبرأ الشيطان من كل من أغواه، وأضله ،وزين له السيئ من العمل. ويا لروعة البيان القرآني حين استخدم هذا الفعل ليدل على أن النفس البشرية تغريها الزينة حتى لو كانت للقبيح من الأشياء، فلحظة غفلة تعمي النفوس عن رؤية الحقيقة، تجعلهم يتبعون هذه الأعمال السيئة المزينة بغواية الشيطان، ثم بعد أن يقعوا فيها يبقون وحدهم، ويتملص الشيطان منهم ومن أفعالهم، وتتجلى الحقيقة التي نطق بها الشيطان، وهي الخوف من الله، ومن شدة عقابه.

وقد يظن ظان أن أفعال الشيطان تختلط بالمعنى، بعضها مع بعض، ومما يوهم بهذا أننا لو عدنا إلى التعريفات المعجمية لبعض أفعال الشيطان لوجدناها بمعنى واحد. لكننا إذا انتقلنا إلى سياق الكلام فإن دلالة الألفاظ تختلف، وتخرج عن معناها المعجمي إلى معنى ودلالة جديدة. وهذا يخرج الأفعال الموهمة بالترادف من حقل الترادف.

❖ الفعل :{ أضل } وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ {النساء ١١٩}.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان٢٩].

الضلال في اللغة: " ضل ضلاً وضلالة وضلالا: غاب وضاع "[1]، فمن خلال هذا الفعل يتبين لنا أن من يتبع الشيطان فإنما هو ضال تائه في درب الشيطان، لا دليل له سوى الشيطان ، الذي يدله على الغواية. وكأن ذكر الله واتباعه طريق، والشيطان يقف بهذه الطريق يحاول أن يستقطب من ضعفت نفسه، وقلت إرادته، وكان ممن أغوتهم الوساوس، فضلٌ وتاه عن ذكر الله. والذي يُضل لا يتأمل منه أن يبقى مع من أضلهم، فهو ما إن يجعلهم تائهين في قبيح الذنوب والسيئات يخذلهم ويستغني عنهم، ويجعلهم وحدهم. ولقد حذرنا الله من اتباع خطوات الشيطان ووسواسه وإغواءاته وضلاله؛ لأن ذلك سيفضي إلى الوقوع ضحية الشيطان في التيه والضلال، وخسران الإنسان لله، بعد أن كان معه.

❖ الفعل: { أمر } وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور٢١].

٢. ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة٢٦٨}.

٣. ﴿ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً ﴾ {النساء ١١٩}.

---

(1) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، ج١، ص ٥٤٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يكون الأمرُ ، في العادة ، من الأعلى إلى الأدنى ، ومن المسيطِر على الخاضع والذليل ، وهنا تتجلى لنا لطيفةٌ من لطائف القرآن في تصوير من اتبعوا الشيطان. فلو نظرنا في الآيات التي تحدثت عن بداية خلق آدم عليه السلام، لنجد أن الله أمر إبليس بالسجود لآدم، وإنما يدل هذا على المرتبة السامية التي تمتع بها الإنسان منذ الأزل، وعلى المرتبة الدنيا التي رزح تحت نيرها الشيطان. فالإنسان، ما دام في درب الله ومن عباده المخلصين ، فإنه سيبقى عزيزا قويا لا تذله الإغواءات ولا المطامع الشيطانية، ولن يستطيع الشيطان بأية حال أن يفرض سيطرته على الإنسان، وبالتالي فإنه لن يستطيع أن يغويه أو يضله. لكن من استهوته ضلالة الشيطان، وغفل عن ذكر الله ، فإنه يقع فريسة سهلة للشيطان، فيسيطر عليه ويستذله، حتى يصبح ضعيف النفس ووليا من أولياء الشيطان وتابعا من أتباعه، ويكون الشيطان ، بذلك ، قائدا للضلال والفساد ، يأمر بما يبعد عن الله، وينهى عن كل ما يقرب العبد من الله، وما جزاء من اتبع الشيطان وانصاع لأوامره إلا الخسران المبين.

وينبغي أن أشير إلى أن أفعال الشيطان تتدرج، من الوسوسة إلى القول إلى الاستزلال، حتى يصل به الأمر إلى أن يأمر من يتبعه، وفي هذا قمة الغواية والضلال، فمن منا يرضى أن يكون وليا للشيطان،أو تابعا لها، بعدما أدرك حقيقته في كتاب الله الذي لا يحيد عن الصواب؛ فهو كلام الله المبين،والموضح لنا ما تكون عاقبة من يتبع الشيطان: الذل والخسران.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

❖ الفعل: { نزغ } وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء٥٣].

٢. ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف١٠٠].

النزغ في اللغة: " نزغ بين القوم نزغا : أفسد وحمل بعضهم على بعض، والنزغ: الكلام يُقصدُ به الإغراء بين الناس . ونزغ الشيطان: وساوسه وما يحمل به الإنسان على المعاصي "[١]، ومن هنا، فأفعال الشيطان كلها هدفها الإفساد والإغواء والتضليل، فهو ينزغ بقوله ووسوسته للإنسان حتى يضله. وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء٥٣] : " وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ يقول: إن الشيطان يسوء محاورة بعضهم بعضا ينزغ بينهم، يقول: يفسد بينهم، يهيج بينهم الشر "[٢].

(١) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج٢، ص ٩١٤.
(٢) تفسير الطبري ، الطبري ، ج١٧، ص ٤٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أفعال الشيطان التي لم ترد إلا مرة واحدة في القرآن الكريم:

❖ الفعل: { يفتن } وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف٢٧].

الفتنة في اللغة: " فتن فلانا: رماه في شدة ليختبره. وفتن الشيء فلانا: أعجب به واستهواه. ويقال: فتنته المرأة: ولهته. والفتان: الشيطان. وفتنة الصدر: الوسواس "(١).

والفتنة وسيلة من وسائل الشيطان، مثل باقي الوسائل التي يستخدمها لإغواء من ضعفت نفسه وقلت حيلته. وقد جاء الفعل مؤكدا بنون التوكيد الثقيلة. فالشيطان ذو قدرة كبيرة على الإمعان بالفتنة والتركيز على هدف واحد وهو التضليل. وقد ورد في التفسير الكبير للفخر الرازي قوله: " فكأنه تعالى لما ذكر قصة آدم وبين فيها شدة عداوة الشيطان لآدم وأولاده أتبعها بأن حذر أولاد آدم من قبول وسوسة الشيطان فقال : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ ،وذلك لأن الشيطان لما بلغ أثر كيده ،ولطف، وسوسته وشدة اهتمامه إلى أن قدر على إلقاء آدم في الزلة الموجبة لإخراجه من الجنة فهو بالقدرة على أمثال هذه المضار في حق بني آدم أولى. فبهذا الطريق حذر تعالى بني آدم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان فقال : ﴿ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ فيترتب عليه أن لا تدخلوا الجنة كما فتن أبويكم ، فترتب عليه خروجهما منها ،وأصل الفتون عرض الذهب على النار وتخليصه من الغش "(٢).

(١) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج٢، ص ٦٧٣

(٢) التفسير الكبير ، الفخر الرازي، ج١، ص ١٩٤٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وللشعراوي كلام جميل في هذه الآية ؛ إذ يقول: " قبل أن يطلب منا سبحانه ألا نفتتن بالشيطان أوضح أنه قد رتب لنا كل مقومات الحياة، وعلينا أن نتذكر موقف الشيطان، من أبينا آدم، وإغواءه له. والفتنة في الأصل هي الاختبار، وتُطلق – أحياناً – على الأثر السيئ حيث تكون أشد من القتل، لكن هل يسقط الإنسان في كل فتنة؟ لا؛ لأن الفتنة هي الاختبار، وفي الاختبار إما أن ينجح الإنسان، وإمّا أن يرسب، فإن نجح أعطته الفتنة خيراً ،وإن رسب تعطه شرًّا.

وبعد ذلك يريد الحق سبحانه وتعالى أن يخلع علينا التجربة لآدم حتى نتعظ بها، وأن نعرف عداوة الشيطان لنا، وألا نقع في الفتنة كما وقع آدم. ﴿ يَابَنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ﴾ [الأعراف: ٢٧]. وهذا نهي لبني آدم ،وليس نهيا للشيطان، وهذا في مُكنة الإنسان أن يفعل أو لا يفعل، فسبحانه لا ينهى الإنسان عن شيء ليس في مكنته، بل ينهاه عما في مكنته، والشيطان قد أقسم أن يفتنه وسيفعل ذلك لأنه أقسم وقال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . فإياكم أن تنخدعوا بفتنة الشيطان؛ لأن أمره مع أبيكم واضح، ويجب أن تنسحب تجربته مع أبيكم عليكم ،فلا يفتنكم كما أخرج أبويكم من الجنة، ويتساءل البعض: لماذا لم يقل الله: لا يفتنكم الشيطان كما فتن أبويكم، وقال:﴿ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾. ونقول هذا هو السمو والافتنان الراقي في الأداء البياني للقرآن.

وإن هذا تحذير من فتنة الشيطان حتى لا يخرجنا من جنة التكليف. كما فتن أبوينا فأخرجهما من جنة التجربة [كذا]. ويقال عن هذا الأسلوب إنه أسلوب احتباك، وهو أن تجعل الكلام شطرين وتحذف من كل منهما نظير ما أثبت في الآخر قصد الاختصار. وهذا

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

هو الأسلوب الذي يؤدي المعنى بمنتهى الإيجاز؛ لينبه ذهن السامع لكلام الله. فيلتقط من الأداء حكمة الأداء وإيجاز الأداء، وعدم الفضول في الأساليب. ﴿ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٧]

والفتنة- كما علمنا- هي في الأصل الاختبار حتى ننقي الشيء من الشوائب التي تختلط به، فإذا كانت الشوائب في ذهب فنحن نعلم أن الذهب مخلوط بنحاس أو بمعدن آخر، وحين نريد أن نأخذ الذهب خالصاً ،نفتته على النار حتى ينفض ويزيل عنه ما علق به. كذلك الفتنة بالنسبة للناس، إنها تأتي اختباراً للإنسان لينقي نفسه من شوائب هذه المسألة، وليتذكر ما صنع إبليس بآدم وحواء. فإذا ما جاء ليفتنك فإياك أن تفتن؛ لأن الفتنة ستضرك ،كما سبق أن ألحقت الضرر بأبيك آدم وأمك حواء "[1].

❖ الفعل: { سوَّلَ } وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد ٢٥].

سول، لغةً: " سوّل له الشر: حببه إليه ،وسهله له ،وأغراه به، يقال: سولت له نفسه كذا. وسول له الشيطان كذا. وهذا من تسويلات الشيطان "[2]. ويرتبط المعنى اللغوي لهذه اللفظة بالمعنى السياقي للآية، فالشيطان لا يحب أن يرى أحدا مهتديا إلى الله ،بل إنه يبتغى أن يغوي من استطاع أن يغويه عن الله، وأن يجعلهم من أوليائه. فهو يبقى مترصدا للإنسان يحبب في

(١) تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، محمد متولي ، ص ٩٧٠.
(٢) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، ج١، ص ٤٦٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نفسه الشر ،ويغريه به حتى تتصاع النفس البشرية الضعيفة إلى هذه الرغبات السوداء ، فيضل الإنسان، ويمسي وليا للشيطان.

أما الفعل (أملى) فمعناه اللغوي: " أملى له في غيه : أطال له وأمهله "[1]. وهذا الفعل منفصل في الفاعل عما قبله. فالتسويل يكون من الشيطان. والذي أملى وأطال لهم في الأمد هو الله. فالشيطان سول لهم والله أملى لهم، يقول الطبري: " وقوله:﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ يقول تعالى ذكره: الشيطان زين لهم ارتدادهم على أدبارهم، من بعد ما تبين لهم الهدى.

وبنحو الذي قلت في ذلك قال أهل التأويل.ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ يقول: زين لهم.حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة﴿ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ يقول: زين لهم. وقوله:﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ يقول: ومدّ الله لهم في آجالهم مُلاوة من الدهر، ومعنى الكلام: الشيطان سول لهم، والله أملى لهم "[2].

❖ الفعل: { صدَّ }

٢. ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [الزخرف٦٢].

(١) المرجع السابق ، ج٢، ص ٨٧٨.
(٢) تفسير الطبري ، الطبري، ج٢٢، ص ١٨١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والصدُّ في اللغة: " الإعراض. وصدَّ فلانا عن كذا: منعه، وصرفه عنه "[1]. فالشيطان لا ينفك يرصد للإنسان أية حركة، أو تُوجه نحو الإيمان، ونحو الله، حتى يكون الشيطان جدارا منيعا يقف في وجهه؛ يبتغي من ذلك أن يظل الإنسان بعيدا عن الله. وقد ذكر الطبري في تفسيره: " وقوله: ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولا يعدلنكم الشيطان عن طاعتي فيما آمركم وأنهاكم، فتخالفوه إلى غيره، وتجوروا عن الصراط المستقيم فتضلوا ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ يقول: إن الشيطان لكم عدوّ يدعوكم إلى ما فيه هلاككم، ويصدّكم عن قصد السبيل، ليوردكم المهالك، (مبين): قد أبان لكم عداوته، بامتناعه من السجود لأبيكم آدم، وإدلائه بالغرور حتى أخرجه من الجنة حسدا وبغيا "[2]. وقد جاء الفعل في صيغة المضارع ؛ ليدل على الاستمرار والتجدد .

❖ الفعل: { مسَّ } وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص٤١].

٢. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف٢٠١].

المسُّ في اللغة الجنون، فنقول عن فلان: فيه مس ؛أي أن فيه جنونا. ولقد كانت روعة البيان القرآني سامية في تصوير مشهد الشيطان وأثره في الإنسان. فالشيطان يفعل في الإنسان فعل الجنون؛ إذ يجعله في هذه الدنيا منكبا على وجهه لا يدري أين يوجه وأين

(١) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج ١، ص ٥٠٩
(٢) تفسير الطبري ، الطبري ، ج٢١، ص ٦٣٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يمضي؛ وهو السبب في كل بلاء وفي كل تعب وعذاب لكل إنسان ، فقد جاء في تفسير الآية الأولى: " وأسند المس إلى الشيطان . قال الزمخشري : لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبباً فيما مسه الله به من النصب والعذاب ، نسبه إليه وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه ، مع أنه فاعله ، ولا يقدر عليه إلا هو . وقيل : أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به البلاء ، فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء ، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل "[1] .

ويقول الشعراوي في تفسير الآية الثانية: " والطائف هو الخيال الذي يطوف بالإنسان ليلاً، وبما أن الشيطان لا يرى، لذلك نصوره على أنه خيال، فإذا ما طاف الشيطان بالمس للذين اتقوا وتذكروا خالق الشيطان وخالقهم، وتذكروا منهج الله الذي يصادم شهواتهم، وتذكروا أن عين الله تراهم ولا تغفل عنهم، وأن محارم الله واضحة وبينة، وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: في الحديث الذي يرويه عنه النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ « إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ،فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ،وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِى الْحَرَامِ؛ كَالرَّاعِى يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِىَ الْقَلْبُ » "[2]. وإذا ما تذكر المؤمنون

---

(1) تفسير البحر المحيط ، الأندلسي ، أبو حيان ، ج٧، ص٣٨٣

(2) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، مسلم ،أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري،دار الجيل ودار الآفاق الجديدة ، بيروت – لبنان ، كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات،ج٥ ص٥٠، حديث رقم:٤١٧٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

العقوبة المترتبة على أي فعل شائن يزينه الشيطان لهم، هنا تزول عنهم أي غشاوة، ويبصرون الطريق القويم "[1].

الفعل: { دعا } وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾[لقمان٢١].

الدعوة هي المناداة ،والحث على فعل ما، والشيطان يدعو، ولكن دعوته هذه ارتبطت بالضلالة والغواية، والبعد عن الله. ولقد كانت دعوته هذه تقود إلى عذاب السعير يوم القيامة، فالآية تبين نتيجة من يستجيب لدعوة الشيطان بأن له عذاب السعير. وفي هذا عظة وعبرة لمن أغفله الشيطان ،وأعمى بصيرته. يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: " قال الله تعالى ذكره: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ بتزيينه لهم سوء أعمالهم، واتباعهم إياه على ضلالتهم، وكفرهم بالله، وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه. ﴿إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني: عذاب النار التي تتسعر وتلتهب"[2].

❖ الفعل: { خبط } وقد ورد في قوله تعالى :

(١) تفسير الشعراوي ، الشعراوي، محمد متولي ، ص ١١٤٣
(٢) تفسير الطبري ، الطبري ، ج٢٠، ص ١٤٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ {البقرة ٢٧٥}.

الخبط " أي ضربه ضربا شديدا، وخبط الليل: سار فيه على غير هدى "[1]. فالصورة القرآنية توحي بمدى الأثر السلبي الذي يتركه مال الربا في آكله، حتى إنه يصبح كالمجنون هائما على وجهه. وفي هذا دقة في التصوير، وإيجاز في العبارة، و إشباع للصورة المتصورة.

(١) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج١، ص ٢١٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الأفعال التي صدرت من ذرية الشيطان وأتباعه.

❖ الفعل: { يوحي } وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ {الأنعام١١٢}.

٢. ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ {الأنعام-١٢١}.

الوحي، في اللغة: " الإشارة والإيماء، والتكلم بكلام يخفى على غيره "[١]. ومن الإيحاء أي الإشارة إلى الشيء، فالشيطان يوحي بكلام خفي، وإخفاء الكلام كناية عن خطورته وأهميته، لكن في مقام الشيطان، فإن إخفاء الكلام يقع لما فيه فساد وضلال، فيقوله خفية، وسوسة أو وحيا، وقد جاء في تفسير ابن كثير، في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ : " وقوله تعالى: ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ أي: يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف، وهو المزوق الذي يغتر سامعه من الجهلة بأمره "[٢]. فكل أفعال الشيطان تفضي بالإنسان إلى مهاوي الضلال، ولو كان فعل الشيطان حقا لما وسوس به ولما قاله خفية، وهذا دليل على مدى الضلال للشيطان، وعلى مدى الشر الذي يبغيه للإنسان.

---

(١) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج٢، ص ١٠١٨

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، ج٣، ص ٣٢١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

❖ الفعل: (أزّ) وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ {مريم-٨٣}.

الأزُّ: " أزَّ أزا وأزيزا: تحرك واضطرب. وهو صوت من شدة الحركة والغليان. وأز الشيء هزه وحركه شديدا. وأز فلان: أغراه وهيجه "[١]. فالفعل يوحي بالحركة الشديدة، وهذا يتجلى حتى على سبيل النطق به، فحرف الزاي المشدد يدل على الحركة، فيتصور الإنسان هذه الصورة على أتم وجه.

❖ الفعل (استهوى) وقد ورد في قوله تعالى :

١. ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ {الأنعام-٧١}.

الاستهواء لغة: " استهوى الشيء فلانا: أعجبه وشغل هواه، واستهوى فلانا: أثر فيه حتى جعله يتقبل رأيه دون أن يقوم لديه الدليل اليقيني على صحته "[٢]. والاستهواء فعل آخر من أفعال الشيطان، كالاستزلال والوعد، يريد منه الشيطان أن يجذب الإنسان ضعيف الإرادة والنفس إلى ضلاله، فهو بذلك منصاع له، يطيعه في كل أمره ،لا يخالفه في أي شيء، وما هذا إلا من غشاوة الشيطان التي يجعلها على قلب الإنسان حتى يغرق في مفاتن الضلال

---

(١) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، ج١، ص ١٦
(٢) المرجع السابق ، ج٢، ص ١٠٠١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الزائفة، التي لا يلبث حتى يرى الحقيقة المرة، وهي أن ما كان يتوهم، بفعل الشيطان، أنه خير له، ما كان في حقيقة الأمر سوى ضلالة وغواية، لا يقصد الشيطان منها سوى أن يضل الإنسان ،ويزج به إلى عذاب السعير.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الخاتمـــــة

وبعد هذه المسيرة في موضوع " صورة الشيطان في القرآن الكريم " فإنني سألخص أهم النتائج التي توصلت إليها مع ذكر التوصيات :

١. خلصت في التمهيد إلى صيغة محددة لمصطلحي " إبليس ، والشيطان " بالاستعانة بالمعاجم اللغوية ، والآراء في كتب العلماء والمفسرين . وانتهيت إلى الفرق الواضح ، من خلال الأدلة القرآنية ، وآراء المفسرين ، عند القدماء والمحدثين ، بين إبليس والملائكة.

٢. درست في الفصل الأول الصورة الفنية للشيطان في القرآن الكريم ، وقسمتها ، حسب موضوع دراستيفيما يخص الشيطان ، إلى ثلاثة محاور : محور الصورة الحركية ، ومحور الصورة الساكنة ، ومحور الصورة النفسية . مستشهدين على كلٍّ بآيات من الذكر الحكيم . وقد توصلت إلى أن أكثر الصور المتعلقة بالشيطان حضورا كانت الصورة الحركية ؛ لما للشيطان من حركة، وسعي مستمر لبث الفساد والضلال بين الناس .

٣. درست في الفصل الثاني وسائل تصوير الشيطان في القرآن الكريم ، باستخدام أسلوبي : السرد ، والحوار . وكذلك استخدام الأساليب البلاغية : كالتشبيه ، والاستعارة ، والكناية . وقد توصلت إلى كثرة هذه الأساليب في صورة الشيطان ، وأن لفظة " الشيطان " بتصريفاتها هي كناية إما لإبليس ، أو لذريته ، وهي ليست اسما آخر لإبليس .

٤. درست في الفصل الثالث الإعجاز القرآني اللغوي في صورة الشيطان . وقد كان في مبحثين : الألفاظ والمعاني ، وقد توصلت فيه إلى أن أكثر ألفاظ الشيطان ورودا هي التي تكون بالإفراد والتعريف ، وهي التي تدل خصوصا على إبليس . وقد بيت كذلك أن لا ترادف في

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

القرآن الكريم عموما ، ولا في صفات وأفعال الشيطان على وجه الخصوص . وإنما لكل صفة أو فعل معنى خاصا ودلالة خاصة يكشفها السياق القرآني .

وبعد : فإن بحثي الذي بين أيديكم ما هو إلا محاولة متواضعة لدراسة بعض ما في القرآن الكريم من كنوز معرفية ننهل منها . والمقام هنا يحثني إلى أن أوصي أصحاب الأقلام والأفكار المبدعة إلى أن يسبروا أغوار القرآن الكريم ؛ ليكتشفوا فيه المزيد ، فكتاب الله العزيز بحر لا ينضب ، وكنوزه وأسراره لا حصر لها ولا حدود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وآله الطاهرين الطيبين ، وصحبته الغر الميامين ، والتابعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قائمة المصادر والمراجع .

- **القرآن الكريم .**

- **إبليس** . العقاد ، عباس محمود ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، (د. ت) .

- **أحكام القرآن** . الجصاص ، أحمد بن علي الرازي ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث بيروت ، لبنان ، د.ط ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

- **أدب الكاتب** . الدينوري ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة السعادة ، مصر ، د. ط ، ١٩٦٣م .

- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** . أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، تحقيق دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ،١٩٧٠م .

- **أسرار البلاغة** . الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، د . ط ، ١٩٧٨م .

- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** . الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد بن مختار الجكني ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، د.ط ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- **الإعجاز الفني في القرآن** . السلامي ، عمر ، مؤسسات عبد الكريم بن عبدالله

تونس ، ط١ ، ١٩٨٠م .

- **إعجاز القرآن** . الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب ، تحقيق : أحمد صقر ، دار

المعارف ، القاهرة – مصر ، ط٣ ، ١٩٧١م .

- **إعجاز القرآن الكريم** . عباس ، فضل حسن ، المكتبة الوطنية ، عمان – الأردن ،

د.ط ، ١٩٩١م .

- **الإيضاح في علوم البلاغة** . القزويني ، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين

، دار إحياء العلوم ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٩٩٨م.

- **البحر المحيط** . الأندلسي ، أبو حيان النحوي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و

علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ–

٢٠٠١م .

- **البديع** . ابن المعتز، أبو العباس عبدالله بن محمد، تحقيق : كراتشوفسكي ،

مطبوعات جب التذكارية ، لندن ، د.ط ، ١٩٣٥م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **البلاغة القرآنية دراسة في الصورة الفنية** . القاسم ، محمد محمود صالح ، مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

- **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري** . أبو موسى ، محمد محمد ، مكتبة وهبة ، القاهرة – مصر ، ط٣ ، ١٩٨٨م .

- **البلاغة فنونها وأفنانها** . عباس ، فضل حسن ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١١ ، ٢٠٠٧م .

- **البنى والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية** . يحيى ، عماد عبد ، دار دجلة ناشرون وموزعون ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

- **تاج العروس من جواهر القاموس** . الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

- **تأويل مشكل القرآن** . الدينوري ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ .

- **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير القرآن المجيد** . ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد ، دار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- **التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم** . القاسم ، محمد محمود صالح ، رسالة دكتوراه ، جامعة اليرموك ، إربد – الأردن ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

- **التصوير الفني في القرآن الكريم** . قطب ، سيد ، دار الشروق ، بيروت – لبنان ، ط٩ ، ٢٠٠٠م .

- **التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم**،أبو عودة ،عودة خليل ، مكتبة المنار، الأردن،الزرقاء،ط١ ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م

- **التعبير القرآني** . السامرائي، فاضل صالح ، دار عمار ، عمان – الأردن ، ط١ ، ١٩٩٨م .

- **التعريفات** . الجرجاني، علي بن محمد ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٠٥هـ .

- **تفسير البغوي** . البغوي ، الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك و مروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م .

- **تفسير الجلالين** . المحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد ،و السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، ١٩٩٠م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **تفسير الشعراوي** . الشعراوي ، محمد متولي ، مطابع أخبار اليوم التجارية ، ط١ ، ١٩٩١م .

- **تفسير القرآن** . الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام ، تحقيق : مصطفى مسلم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٩٨٩م .

- **تفسير القرآن العظيم** . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

- **التفسير القيم** . ابن القيم ، شمس الدين أبو عبدالله ، دار ابن الجوزية ، الدمام ، ١٩٩٣م .

- **التفسير الكبير** . الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، د.ت .

- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** . الزحيلي ، وهبة بن مصطفى ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط٢ ، ١٤١٨هـ .

- **تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل** . النسفي ، أبو البركات عبدالله بن أحمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- **التفسير الوسيط** . طنطاوي ، محمد سيد ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٧م .

- **جامع البيان في تفسير القرآن الكريم** . الطبري ، محمد بن جرير ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

- **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم** . مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٢م .

- **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم** ، مسلم ،أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري،دار الجيل ودار الآفاق الجديدة ، بيروت – لبنان .

- **الجامع لأحكام القرآن** . القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م .

- **الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه** . الصافي ، محمود ، دار الرشيد ، بيروت ، ط٤ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

- **جمهرة اللغة** . ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن ، تحقيق : رمزي منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٧م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **الحيوان** . الجاحظ ، أبو عثمان عمروبن بحر، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

- **خصائص التشبيه في سورة البقرة دراسة تحليلية** . داود ، إبراهيم علي حسن ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

- **دراسة نصية في القصة القرآنية** . الطراونة ، سليمان ، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان - الأردن ،ط١ ١٤١٣هـ ،١٩٩٢م .

- **دلائل الإعجاز** . الجرجاني ، عبد القاهر ، تحقيق : محمد التونجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

- **ديوان الأعشى** . الأعشى ، أبو بصير ميمون بن قيس ، تحقيق : حسين ، محمد محمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٣م .

- **ديوان الأعشى**.الأعشى أبو بصير ميمون بن قيس،، شرحه وضبط نصوصه وقدم له:عمر فاروق الطباع،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت١٩٩٧م.

- **ديوان العجاج** . العجاج ، عبدالله بن رؤبة ، تحقيق : عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

- **ديوان أوس بن حجر** ، ابن حجر، أبو شريح أوس ، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم ،دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط٣، ١٩٧٩م ،.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- **ديوان زهير بن أبي سلمى** . ،تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة ،بيروت ـ لبنان ،ط٣، ١٩٨٠م .

- **ديوان طرفة بن العبد** ، شرح الشنتمري، تحقيق :دُرّية الخطيب،لطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق،١٩٧٥م

- **سنن أبي داود** . أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتب العلمية ، د.ط ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٦م .

- **سنن النسائي الكبرى**، النسائي ،أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ، تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري ،سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

- **شواهد في الإعجاز القرآني دراسة لغوية ودلالية** . أبو عودة ، عودة خليل ، دار عمان للنشر ، ط ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

- **صحيح البخاري** . البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل ، تحقيق : محمد نزار تميم و هيثم نزار تميم ، دار ابن الأرقم ، بيروت – لبنان ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

- **الصناعتين** . العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، تحقيق : علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المكتبة العصرية، بيروت - لبنان ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **الصورة الأدبية في القرآن الكريم** . عبد التواب ، صلاح الدين ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥م .

- **صورة الجنة في القرآن الكريم** . الزعبي ، زهير موسى حسين الزعبي ،رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك ، إربد – الأردن ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

- **الصورة الفنية في المثل القرآني** . الصغير ، محمد حسين علي ، دار الهدى ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

- **الصورة الفنية في النقد الشعري** . الرباعي ، عبد القادر ، إربد ، مكتبة الكتاني ، ط٢ ، ١٩٩٥م .

- **الصورة الفنية في شعر أبي تمام** . الرباعي ، عبد القادر ، جامعة اليرموك ، إربد ، ط٢ ، ١٩٨٠م .

- **الصورة النفسية في القرآن الكريم** . هياجنة ، محمود سليم محمد ، عالم الكتب الحديثة ، عمان – الأردن ، ط١ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م .

- **طرق العرض في القرآن الأهداف والخصائص الأسلوبية** . باطاهر ، بن عيسى ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، الحولية الثانية والعشرون ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- **عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة** . عبيدات ، عبد الكريم نوفان فواز ، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع ، الرياض، ط٢ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

- **العلاقة الدلالية بين إبليس والملائكة في ضوء قواعد باب الاستثناء** . أبو عودة ، عودة ، مجلة البلقاء ، المجلد الخامس ، العدد الثاني ،١٩٩٨م .

- **العين** . الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، تحقيق : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال ، ١٩٩٩م .

- **غريب الحديث** . الدينوري، أبو محمد بن مسلم بن قتيبة ، دار الكتب العلمية ، لبنان - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

- **الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم** . الشايع ، محمد بن عبد الرحمن ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م .

- **الفروق في اللغة** . العسكري ، أبو هلال ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت - لبنان ، ط٣ ، ١٩٧٩م .

- **فصول في فقه اللغة** . عبد التواب ، رمضان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٣م .

- **فنون بلاغية (البيان – البديع)** . مطلوب، أحمد، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط١، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **في النقد الأدبي** . عتيق ، عبد العزيز ، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٢م .

- **في ظلال القرآن** . قطب ، سيد ، دار الشروق ، بيروت – لبنان، ط٢٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

- **القاموس المحيط** . الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد يعقوب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، د. ط .ت .

- **القرآن والشيطان** . فارس ، محمد ثابت ، دار الفكر العربي ، القاهرة – مصر ، ١٩٧٩م .

- **الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف** . المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة – مصر ، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

- **الكتاب** . سيبويه ، أبو بشر عمر بن عثمان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، د . ت .ط .

- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** . الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٠م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- **لسان العرب** . ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .ط .

- **لغة الشعر العربي الحديث** . الورقي . سعيد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٣م .

- **المجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة** . زوين ، علي، مجلة آفاق عربية ، ع١، كانون الثاني ١٩٩٢م .

- **مجموعة أشعار العرب** وهو مشتمل على ديوان رؤبة العجاج وعلى أبيات مفردة منسوبة إليه ، اعتنى بتصحيحه وترتيبه :وليم بن الورد البروسي ،منشورات دار الآفاق ،بيروت ،ط١٩٨٠،٢م.

-**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** . ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق بن غالب ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ، -سنة النشر ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

- **مختار الصحاح** . الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، تحقيق: محمود خاطر ، دار مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

- **مختصر صحيح مسلم** . المنذري ، زكي الدين عبد العظيم ، تحقيق : ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ٣ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **المدخل إلى دراسة البلاغة العربية** . خليل، السيد أحمد ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، د. ط ، ١٩٦٨م .

- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** . السيوطي ، جلال الدين، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

- **مسالك الشيطان إلى بني الإنسان في ضوء الكتاب والسنة** . الديحاني ، حورية دغيم بركات ، رسالة ماجستير ، جامعة الكويت ، الكويت ، ١٩٩٩م .

- **المستدرك على الصحيحين** . الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبدالله ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١١هـ -١٩٩٠م.

- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** . ابن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٨م.

- **المصباح المنير** . الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي المقري ، مكتبة لبنان ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٧م .

- **معجزة القرآن الكريم** . الشعراوي ، محمد متولي ، مكتبة دار التراث الإسلامي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- **المعجم المفصل في اللغة والأدب** . يعقوب ، أميل و عاصي ، ميشال ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٧م .
- **المعجم الوسيط** . مصطفى ، إبراهيم وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، استانبول – تركيا ، ط٢ ، ١٩٧٢م .
- **مفتاح العلوم** . السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين ، تحقيق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٣م .
- **المفردات في غريب القرآن الكريم** . الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، د . ت .ط .
- **مقاييس اللغة** . ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- **من بلاغة القرآن** . البدوي ، أحمد أحمد ، مكتبة نهضة مصر ، ط٣ ، ١٩٥٠م .
- **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب** . الخالدي ، صلاح عبد الفتاح ، دار الفرقان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- **نقد الشعر** . ابن جعفر ، قدامة ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط٣ ، ١٩٧٨م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **النهاية في غريب الحديث والأثر** . أبو السعادات ، المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

- **وظيفة الصورة الفنية في القرآن** . الراغب ، عبد السلام أحمد ، دار فصلت ، حلب ، ط١، ٢٠٠١م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

Abstract

The image of satan in th holy Qurā'n

Prepared

Ayed salameh Al Sharai

Supervisor

The current study addressed the image of the Satan in the holy Qura'n one of the controversial topics for study and research. The current study is a thorough attempt to deal with all aspects of the topic, addressing it with detail.

The study was divided into a preface and three chapters :

-in the preface, the study addressed the definitions of both the Satan and devil, giving the differences between the two terms and addressing if Satan was from angles are by alphs .

The first chapter addressed the artistic images of the Satan . This was studied in three domains : the motion image of the Satan , the static image of the Satan and the psychological image of the satan the suppored by some applicable models for each image in the holy Qura'n .

-The second chapter studied expression methods concerning the imageof the Satan in the holy Qura'n. this was achieved by using the narrative and dialogue concerned with the image of the Satan . The rethoritical approach was also used such as using metaphor, analogy .

-The third chapter was dedicated to study the linguistic aspects of the satan image as addressed in the Holy Qura'n . This was achieved by addressing the vocabulary and words used to address the Satan, the synonyms of using the term Satan and the third was mainly the concerned with the word Devil, his ancestors and their characteristics and actions.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library Yarmouk University